

قضايا فكرية معاصرة

ربيع الآخر ١٤٣٢ هـ (١)

مآلات القول بخلق القرآن

دراسة عقيدية معاصرة

تأليف

الدكتور : ناصر بن يحيى الحيني





السيرة الذاتية

د. ناصر بن يحيى الجيني

من مواليد عام ١٣٨٩ هـ.

- أستاذ مساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة،

- المشرف العام على مركز الفكر المعاصر

- نائب رئيس الجمعية العلمية السعودية للدراسات الفكرية المعاصرة .

- رئيس اللجنة العلمية بمؤسسة الوقف سابقاً.

- عضو وحدة البحوث في كلية أصول الدين بالرياض.

مؤلفاته :

منهج أهل السنة والجماعة في تدوين علم العقيدة .

التطرف المسكوت عنه (نقد أصول الفكر العصري)

تحقيق وتعليق على نونية ابن القيم بالاشتراك مع مجموعة من الباحثين

● مركز الفكر المعاصر ●

مركز علمي يقدم رؤية لمنهج إسلامي أصيل في القضايا الفكرية المعاصرة يعتمد الوسطية منطلقاً ومنهجاً في نقد التيارات الفكرية المخالفة .

● الأهداف ●

- ١- رصد الحراك الثقافي المحلي مع تقديم رؤية ناضجة في ضوء العقيدة الإسلامية الصحيحة .
- ٢- استثمار الطاقات العلمية والثقافية المتميزة في نشر الحق والرد على الباطل .
- ٣- تقديم الدراسات في القضايا العقدية والفكرية المعاصرة .
- ٤- تبني النتاج العلمي والثقافي المتميز المعني بتخصص المركز وتوجهه الثقافي والمساهمة في نشره بكل الوسائل المتاحة .

قضايا فكرية معاصرة

ربيع الآخر ١٤٣٢ هـ

(١)

مركز الفكر المعاصر

المشرف العام

د. ناصر بن يحيى الحيني

المدير التنفيذي

وليد الدلحي

مدير التحرير

أمين العطبري

التصميم والإخراج

محمد عثمان

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٣٣٤٦

ردمك: ٨-٧١٢٥-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

مآلات القول بخلق القرآن

دراسة عقدية معاصرة

الدكتور / ناصر بن يحيى الحنيني

٦

نشأة القول بخلق القرآن

١٢

حقيقة القول بخلق القرآن

١٤

مآلات القول بخلق القرآن على مذاهب المتكلمين

٢٤

مآلات القول بخلق القرآن على مذاهب المعاصرين

للنشر في السلسلة وكذا الاشتراك مراسلة

markazfekr@hotmail.com

هاتف: +٩٦٦١٤٥٣٩٨٨٣ فاكس: +٩٦٦١٤٥٣٢١٥٧

الرياض ١١٣٢٢ ص. ب. ٢٤١٤٧٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة التحرير

على خلاف ما يذهب له الكثيرون من أن مسألة خلق القرآن ، لم تعد أكثر من تاريخ لحركة الكر والفر في القرون الأولى للإسلام ، التي أفرزها الجدل الفكري مع التيارات المناوئة للإسلام ، لاسيما تلك التيارات التي حركها الغبن والكيد السياسي على الفاتح المسلم ، فأعملت الحيلة والمكر الفكري لتفكيك مسلماته ، وزعزعة ثوابته العقدية بإشاعة بعض الفلسفات الفارسية القديمة ، أو الذي حدث بطريق عفوي ، أوجبه التمازج الواسع مع ثقافات وديانات سابقة اكتسحت ديارها الفتوحات الإسلامية المتوالية وعلى الخصوص بلاد فارس ، والتي جاءت متسارعة وعلى الرغم من إن الدعوة والتعليم كانت مواكبة للفتوح إلا إنها لم تستوعب بطبيعة الحال التمدد الكبير لمسلمة الفتوح فظلت كثير من الوثنيات عالقة في نفوس المعتنقين الجدد ، أو نتيجة للتهوك الكبير على التراث اليوناني عبر النقل والترجمة ، الذي لم يميز بين الفث والثمين في علوم اليونان ، فنقل الفلسفات اليونانية الوثنية في الإلهيات ...

يحاول البحث أن يثبت أن المسألة برمتها ما زالت حاضرة بكل تفاصيلها في كثير من كتابات الفكر المعاصر ، يبقى الفرق فقط في المنطلقات ، فالمعتزلة الأوائل داخلهم ما أوجب القول عندهم بخلق القرآن من شبه نتيجة مناظراتهم التيارات المناوئة للإسلام ، وهم في ذلك واقفون موقف المدافع عن الإسلام الذائدون عن حوضه في بعض الأحيان ، وإن خالطها كثيرا عند المتأخرين إتباع للهوى والتعصب الأعمى ، فحين أن العلمانية المعاصرة في دراساتها للقرآن انطلقت من نظرية الاعتزال في خلق القرآن ، وتخريجات الأشاعرة في مذهبها التوفيقي التلفيقي في قضية كلام الله ، لتمرر مشروع نزع القداسة عن القرآن الكريم ، وجعله كتاب يعكس فقط واقع الدعوة والرسالة في المجتمعات الأولى التي نشأت فيها ، والتطورات التي لحقت بها ، فهو ليس بالضرورة من عند الله ، مع إعمال مناهج النقد الغربية الحديثة في الفيلولوجي (اللغوي) والايبيستيمولوجي

(المعرفي) على القرآن الكريم ، خرجوا بما تواضعوا عليه بـ " تاريخانية القرآن " بمعنى أنه عمل بشري أفرزته وقائع التاريخ ، وغير خافٍ أنه لا يلتقي في النهاية مع مقولة الاعتزال في خلق القرآن فحسب ، بل تمثل فكرة الاعتزال نقطة الانطلاق ، وفي نفس الوقت المبرر الكاف لتمرير المشروع برمته في أذهان الأجيال اللاحقة بتقمص أفكار من التراث أو الإرث الإسلامي . من هنا كان مشروع البحث ومن هنا كانت أهميته .

وفي البحث بيان لأثر هذا الانحراف تجاه كلام الله وأبان عن عمق فهم سلفنا الصالح في التحذير من هذه البدعة وأنها تعود على أصل الدين بالهدم ، بل على كل الشريعة بالفساد والإبطال ، وتمثلت آثاره في القدح في الذات الإلهية وفي التشكيك في القرآن وصحته وإعجازه وتشريعاته ، مما هيئ أرضية خصبة لدعاة الإلحاد والزندقة في عالمنا العربي للنيل من الإسلام وأصوله ومصادره ، فالبحث رسالة إلى كل المتهاونين والمهونين من شأن هذه الانحرافات وليبين بجلاء عدم صحة اندثار البدع القديمة وأن كل بدعة لها من يروج لها بحسب أهدافه ومنطلقاته .

هيئة التحرير
العطبري



مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين أما بعد:

فإنه لاشك أن كتاب الله عز وجل هو المصدر الأول للتشريع في العقيدة والشرعية، وهذا أمر مجمع عليه عند كل مسلم، وهو من المسلمات التي لا يدخلها الشك عند المسلمين، ولا يستطيع أي عدو للإسلام والمسلمين أن ينال منه؛ لتجذره في عقيدة كل مسلم،

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى ١٠] قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ

فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، وهو جزء من إعجاز هذا الدين، في كل جوانب الإعجاز التشريعية والبلاغية وغيرها، وقد حاول الأعداء النيل من القرآن لعظم أثره في حفظ دين الناس وثباتهم عليه فلم يستطيعوا النيل منه مباشرة فعمدوا إلى أساليب والأعياب قد ينخدع بها الجاهل وحتى بعض من أوتوا نصيبا من العلم الذين اتبعوا أهواءهم وقل تعظيمهم للوحي المنزل من عند رب العالمين، وكان من هذه الدسائس التي ظهرت في القرون الأولى - لإضعاف هيبة النص القرآني في قلوب المسلمين - بدعة ما يسمى بـ (خلق القرآن)، وأنه ليس كلام الله بل مخلوق من المخلوقات مما رتبوا عليه إضعاف قداسته وهيبته في النفوس، وبهذا الأمر مع غيره من المكائد استطاعوا أن يفتنوا بعض الفئام من المسلمين لتجاوز النصوص القرآنية

التي كانت حجر عثرة أمام مخططات أعداء الإسلام، ولما انتشر القول بخلق القرآن عند بعض المسلمين ظهرت له آثار وخيمة قديمة وحديثة أضرت كثيراً بالمسلمين وبعقيدتهم؛ حتى وصل الضرر إلى النيل من القرآن وقداسته صراحة، والقول بأنه نص مثل غيره من النصوص يقبل النقد والتعديل - نعوذ بالله من الكفر المستبين -؛ ولهذا كان هذا البحث حول مآلات القول بخلق القرآن وأثره على عقيدة الأمة في القديم والحديث بشكل مختصر

وأسأل الله التوفيق والسداد والإعانة إنه ولي ذلك والقادر عليه .



أن من أعظم الواجبات وأجل القربات هو الدفاع عن كلام الله عز وجل المقدس المنزل على نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم ، وبيان كيد الأعداء وفضح مخططاتهم التي قد تخفى على كثير من المسلمين .

أهمية الموضوع

تظهر أهمية هذا الموضوع من خلال
لأمر التالية :

أولاً: أن القرآن مصدر التشريع لهذه الأمة، والقدر فيه والتشكيك في قداسته إخلال بهذا الأصل على وجه الخصوص وبالشرعية على وجه العموم مما يعود على غالب أحكامها بالإبطال؛ بل على أصولها ومحكماتها ووكلياتها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله " والاختلاف العظيم هو الاختلاف في تنزيهه، وهذا الاختلاف بين المؤمنين والكافرين، فإن المؤمنين يؤمنون بما أنزل الله، والكافرين كفروا بالكتاب وبما أرسل الله به رسله فسوف يعلمون، فالؤمنون بجنس الكتاب والرسل من المسلمين واليهود والنصارى والصابئين يؤمنون بذلك، والكافرون بجنس الكتاب والرسل من المشركين والمجوس والصابئين يكفرون بذلك، وذلك أن الله أرسل الرسل إلى الناس لتبلغهم كلام الله الذي أنزله إليهم، فمن آمن بالرسل: آمن بما بلغوه عن الله، ومن كذب بالرسل، كذب بذلك، فالإيمان بكلام الله داخل في الإيمان برسالة الله إلى عباده، والكفر بذلك هو الكفر بهذا فتدبر هذا الأصل فإنه فرقان الاشتباه، ولهذا كان من يكفر بالرسل تارة يكفر بأن الله له كلام أنزله على بشر، كما أنه قد يكفر برب العالمين مثل فرعون وقومه .. "أهـ^(١)

ثانياً: أن بعض المفكرين والمنتسبين للإسلام المعاصرين يهونون من شأن هذه البدعة، ويزعمون أن الحديث عنها مضيعة للوقت، وإشغال للفتن بين المسلمين، وإشغال لهم بغير طائل، والبحث يبين عظم وخطر هذه

البدعة وأثرها على الأمة في القديم والحديث، قال الإمام أحمد: " إذا زعموا أن القرآن مخلوق فقد زعموا أن أسماء الله مخلوقة وأن علم الله مخلوق ولكن الناس يتهاونون بهذا ويقولون إنما يقولون القرآن مخلوق ويتهاونون به ويظنون أنه هين ولا يدرون ما فيه وهو الكفر "أهـ^(٢)، وقال الإمام وكيع: " لا تستخفوا بقولهم (القرآن مخلوق) فإنه من شر أقوالهم وإنما يذهبون إلى التعطيل "أهـ^(٣)

ثالثاً: بيان عظم فقه السلف في التحذير من هذه الفتنة العظيمة، وصبرهم على ما لقوا من الأذى في سبيل إنكارها، والتحذير منها، وما تخوف منه السلف عاصره الخلف ولمسوه وقرأوه بأعينهم في كتابات تسطر في كتب ومجلات تنسب إلى العلم والفكر، وصدق شيخ الإسلام حين يقول " ولكن السلف والأئمة أعلم بالإسلام وحقائقه، فإن كثيراً من الناس قد لا يفهم تغليظهم في ذم المقالة، حتى يتدبرها ويرزق نور الهدى، فلما اطلع السلف على سر القول نفروا منه "أهـ^(٤)

رابعاً: أن من أعظم الواجبات وأجل القربات هو الدفاع عن كلام الله عز وجل المقدس المنزل على نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم، وبيان كيد الأعداء وفضح مخططاتهم التي قد تخفى على كثير من المسلمين .

خامساً: بيان غلط من ينسب بدعة القول بخلق القرآن إلى عقيدة المسلمين وأنه من تراثهم، والبحث يبين أنها عقيدة فاسدة دخيلة من قبل الأديان المحرفة، ولهذا كانت آثارها سيئة ومآلاتها خطيرة فالقول بخلق القرآن جمع سؤات كثيرة من حيث فساد نفس البدعة وفساد مصدرها وفساد ما تؤول إليه .

مدخل : نشأة القول بخلق القرآن.

المعروف في كتب السنة والاعتقاد عند أهل السنة أن أول من قال ببدعة القول بخلق القرآن هو **الجعد بن درهم**، يقول الإمام الهروي^(٥) "وأما فتنة إنكار الكلام لله عز وجل : فأول من زرعها جعد بن درهم ، فلما ظهر جعد : قال الزهري -وهو أستاذ أئمة الإسلام زمانئذ- "ليس الجعدي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم" ^(٦) أهـ. ، فالزهري هو أول من عرف عنه إسناد هذه البدعة إلى الجعد ، ونقل هذا الرأي كذلك الدارمي حيث قال : "وكان أول من أظهر شيئاً منه بعد كفار قريش : الجعد بن درهم بالبصرة وجهم بخراسان.. أهـ^(٧) .

وأسند البخاري رحمه الله قصة قتله على يد خالد بن عبد الله القسري وأن سبب قتله هو نفيه لصفة الكلام عن الله عز وجل ، ونقل الأئمة في كتب الاعتقاد هذه القصة مسندة أيضاً^(٨) . ونقل هذا المؤرخون ، كابن الأثير ، وابن كثير ، والذهبي ، وابن عساكر والمحققون من أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحم الله الجميع^(٩) .

ولكن السؤال : من أين أخذ الجعد بن درهم هذه العقيدة؟

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في عدة مواضع^(١٠) من كتبه أنه أخذها من بيان بن سمعان^(١١) وأخذها بيان عن طالوت^(١٢) ابن أخت لبيد بن الأعصم الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم وطالوت أخذها من لبيد^(١٣) وهو

من اليهود .

وممن أشار إلى هذا السند وأكده ابن الأثير وابن عساكر والصفدي وزادوا في نقلهم عن لبيد اليهودي الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم أنه "كان يقول بخلق التوراة"^(١٤) وقد نقل السلف كذلك نصوصاً عن رؤوس أهل البدع القائلين بخلق القرآن كبشر المريسي أنهم تأثروا باليهود ، فقد جاء عن الإمام وكيع أنه قال : "على المريسي لعنة الله ، يهودي هو أو نصراني ، فقال له رجل : كان أبوه أو جده يهودياً" أهـ^(١٥) .

ويذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أبعد من هذه وهو تأثر الجعد بالفلاسفة الوثنيين في منطقة حران لأن بعض المؤرخين أشار إلى سكناه في **حران**^(١٦) أخذ مقالته في خلق القرآن عن صابئة فلاسفة حران الذين يقولون : إنه ليس للرب إلا صفات سلبية أو إضافية أو مركبة منهما..

يقول شيخ الإسلام حول هذا التأثير : "ولكن لما ابتدعت الجهمية القول بنفى الصفات في آخر الدولة الأموية ، ويقال إن أول من ابتدع ذلك هو الجعد بن درهم معلم مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وكان هذا الجعد من حران وكان فيها أئمة الصابئة والفلاسفة" أهـ^(١٧) .

وفي كلام السلف إشارات غير صريحة لمثل هذا المعنى فقد قال إسحاق بن عبد الرحمن : "بشر المريسي يقول بقول صنف من الزنادقة سيماهم كذا وكذا" أهـ^(١٨) .

هل كان مقتل الجعد بن درهم تصفية سياسية ؟

عمل بعض الكتاب على إعطاء مقتل الجعد بن درهم من قبل الأمويين تفسيراً سياسياً ، إذ لم يعرف في الأمراء إذ ذاك غير عقيدة تدعوهم لتتبع أهل البدع وتصفيتهم سيما خالد القسري الذي رمي بحسب زعمهم بالنصب والعداء لعلي رضي الله عنه ..

الأمر الأول : أن من أخذ هذا الموقف عن خالد القسري إنما اعتمد على أحكام صاحب كتاب العقد الفريد والأغاني وكلاهما من الشيعة لذا قال ابن كثير في التاريخ (٢١/١٠) : (والذي يظهر أن هذا لا يصح عنه، فإنه كان قائماً في إطفاء الضلال والبدع كما قدمنا من قتله للجعد بن درهم وغيره من أهل الإلحاد وقد نسب إليه صاحب العقد أشياء لا تصح، لأن صاحب العقد كان فيه تشيع شنيع ومغالة لأهل البيت)

وقال عنه الذهبي (٢٥/١٠) : (وكان جواداً ممدحاً معظماً عالي الرتبة من نبلاء الرجال، لكنه فيه نصب معروف...) وعلى ذلك ابن الأثير : (قيل كان يفعل ذلك نفياً للهمة وتقرباً إلى القوم وقال: وكان خالد يصل الهاشميين ويبرهم)

فهذه أقوال أئمة السنة في التاريخ يعدلون في وصفه ... ومما يقوي هذا القول أن خالداً ثبت عنه أنه قتل بيان بن سميان من الغلاة القائلين بألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه (الملل والنحل ١/١٥٢، ١٥١)

الأمر الثاني : أن الروايات التاريخية تثبت أن الميادرة في قتل الجعد كانت من هشام بن عبد الملك بتوجيه من ميمون بن مهران ، وقد كان هشام معروفاً عنه شدته على أهل البدع فقد قتل غيلان الدمشقي الذي أظهر القول

بنفي القدر في أيام عمر بن عبد العزيز ، فأحضره عمر ، واستتابه ، فتاب . ثم عاد للكلام فيه أيام هشام ، فأحضره من ناصرة ثم أحضر له الأوزاعي لمناظرته ، فأفتى الأوزاعي بقتله ، فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ، ثم أمر به فصلب . كما إصداًراً أمراً لواليه بخراسان نصر بن سيار بطلب الجهم بن صفوان تلميذ الجعد بن درهم وقتله (كما عند أبي حاتم) ، ولكن هشاماً توفي سنة (١٢٦هـ) ولم يدرك قتلة الجهم سنة (١٢٨هـ) . فهذه ثلاث مناقب لهشام تظهر شدته على أهل البدع

الأمر الثالث : أن الجعد بن درهم لم يكن يمثل أي تهديد للنظام ، ولم تذكر عنه أي مطامع شخصية في السلطة ولم يعرف أنه طلبها لغيره ، فهو لم يكن له ثقل سياسي معروف ، فقد كان من الموالين والعمل السياسي آنذاك بيد العرب فهم الولاة وهم القادة وهم أهل الحل والعقد والرأي والمشورة ، ولم يكن للموالي دور سياسي إلا في عهد العباسيين ولذلك فإن هذه الدعوى أوهن من بيت العنكبوت ، والحقيقة أن قتل الجعد كان لزندقته

الأمر الرابع : أن الانحراف لم يظهر في أمراء بني أمية إلا في اثنين من الأمراء الأول : «يزيد الثاني» ١٢٦هـ والذي يلقب بيزيد الناقص وقد تولى الخلافة سنة ١٢٦هـ وكان قديراً حتى أنه ولى على العراق منصور بن جمهور وكان يدين بمذهب الغيلانية القدرية لكن خلافة يزيد لم تزد على ستة أشهر . والثاني : مروان بن محمد الملقب بمروان الحمار ، وكان آخر خلفاء بني أمية وتولى الخلافة (١٢٧هـ - ١٢٢هـ) وقد تعلم من الجعد ابن درهم مذهبهم في القول بخلق القرآن ، والقدر وغير ذلك . وكان يسمى بمروان الجعدي .

راجع : مقالة التعطيل والجعد بن درهم للدكتور محمد خليفة التميمي .

وأشار كذلك الأشعري في المقالات لمثل هذا المعنى وأنه مأخوذ عن الفلاسفة حيث قال : " وقالوا - أي المعتزلة - : إن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه لا صفات له ، وإنه لا علم له

، ولا قدرة له ، ولا حياة له ، ولا سمع له ، ولا بصر له ، ولا عزله ، ولا جلال له ، ولا كبرياء له ، وكذلك قالوا في سائر صفات الله عز وجل التي يوصف بها لنفسه ، وهذا قول أخذوه عن

كان المؤسس الحقيقي لها (أفلوطين)^(٢٥) وهو أيضاً ممن تأثر بأقوال (فيلون)^(٢٦) وملخص ما يعرف عن فيلون أنه حاول المزج بين المعتقدات اليهودية والفلسفة اليونانية وخرج بأراء تخالف من سبقه من الفلاسفة اليونان، وأثرت على من بعده كالفيلسوف المشهور (أفلوطين).

وقد تأثر هذا الفيلسوف اليهودي المتدين بالفلسفة اليونانية لأنها كانت فتنة عصرهم وغزت العقول في ذلك العصر، يقول صاحب قصة الحضارة: "ولكنه افقتن بالفلسفة اليونانية، فجعل هدفه في الحياة أن يوفق بين الكتاب المقدس وعادات اليهود من جهة ، والآراء اليونانية وبخاصة فلسفة أفلاطون" أقدم القديسين" من جهة أخرى "أ.هـ.^(٢٧)

وقد ذهب في التأثر بالفلسفة ومحاولة التوفيق بينها وبين دينه ومعتقده إلى القول بأن كل الأفكار اليهودية توجد في الفلسفة اليونانية، وحاول أن يفسر النصوص الدينية تفسيراً رمزياً^(٢٨)، وكان من أبرز معتقداته بأن يصف الله بالسلوب كما هي عادة أهل الكلام الذين أخذوها عن هؤلاء الفلاسفة، وكان ينفي عن الله جميع الصفات ولا يبقى إلا صفة الوجود فقط، وكان ينعته بالموجود بلا كيف ولا صفة ، ونفس كلام فيلون هو كلام الجهمية والمعتزلة والتطابق واضح .

وثمة أمر آخر يبين التطابق بشكل أكبر

إخوانهم من المتفلسفة الذين يزعمون أن للعالم صانعاً لم يزل ، ليس بعالم ولا قادر ولا حي ولا سميع ولا بصير (إلى أن قال) : غير أن هؤلاء الذين وصفنا قولهم من المعتزلة في الصفات لم يستطيعوا أن يظهروا من ذلك ما كانت الفلاسفة تظهره ، فأظهروا معناه بنفيهم أن يكون للباريء علم وقدرة وحياة وسمع وبصر ، ولولا الخوف لأظهروا ما كانت الفلاسفة تظهره من ذلك ؛ ولأفصحوا به ، غير أن خوف السيف يمنعهم من إظهار ذلك "أ.هـ.^(٢٩)؛ بل إن الأشعري نص على أن بعض أئمة الاعتزال كأبي الهذيل العلاف^(٣٠) أخذ هذا الكلام في الصفات متأثراً بأرسطو طاليس^(٣١) الفيلسوف المشهور .

القول بخلق القرآن وصلته باليهود

ولكن يبقى السؤال الذي أثاره بعض الباحثين^(٣٢) أن المشهور عن اليهود أنهم مشبهة وليسوا نفاة للصفات ، وهذه القضية التي تثار للتشكيك في نقل شيخ الإسلام وغيره من المحققين من المؤرخين كابن الأثير والذهبي وابن كثير في أن أصل هذه المقولة من اليهود، ويمكن الجواب عنها بما يلي :

أن هذا الرأي تبناه وقال به بعض الفلاسفة اليهود الذين خالفوا أقوال الأخبار المتمسكين بنصوص التوراة، وبعد البحث والتقصي تبين لي-والله أعلم- أن ممن كان له أثر كبير الفيلسوف اليهودي الذي عاش في الإسكندرية (فيلون)^(٣٣)، ويعتبر من رواد الفلسفة الأفلاطونية الحديثة^(٣٤)؛ وإن

الأفلاطونية الحديثة

(٢٥٠ ق.م حتى ٥٥٠ م)

"إن المسيحية تبين الأفلاطون بأفكارها التركيبية اللاهوتية في موضوع التثليث منه". ويرد فائلاً: "إن كل الأفكار اللاهوتية المسيحية ما هي إلا تجسيد لأفكار أفلوطين، وإن فكرة التثليث هي من إنتاج الفكري لوحده تبناه اللاهوتيون المسيحيون". فإذاً العلاقة بين المسيحية والأفلاطونية علاقة تأثير وتأثر كما أثرت الأفلاطونية الجديدة في تفكير كثير من الفلاسفة المسلمين أمثال ابن سينا والفارابي وغيرهم، وأخذوا عنها نظرية الفيض الإلهي، التي تدعي أن العالم يجيء صيدوراً عن الله في صورة فيض، فمرتبة تفيض عن مرتبة ... وهكذا حتى تصل إلى أدنى المراتب. وبها فسروا ظاهرة الوحي بالقوة العقلية "إذا بلغت قوة الإنسان المتخيلة نهاية الكمال أن يقبل في يقظته عن العقل الفعال الجزئيات الحاضرة والمستقبلية أو محاكياتها من المحسوسات، ويقتل محاكيات المعقولات المفارقة وسائر الموجودات الشريفة ويراه، فيكون له بما قبله من المعقولات نبوة بالأشياء الألهية" وهذا عبارة الفارابي في الفكرة التي طرب لها كثيراً حامد أبو زيد في "مفهوم النص" وبناء عليها ترهاته.

وأثرت الأفلاطونية الجديدة كذلك في التصوف الإسلامي، وخاصة في المتصوفين المتأثرين بالفلسفة، ثم فشا تأثيرها في طرق التصوف، وخاصة فيما يتعلق بعملية التطهير أو التزكية للوصول إلى المعرفة الكاملة أو الإيمان الكامل، وهو سعي الإنسان جاهداً للوصول إلى المصدر الذي صدر عنه والفناء فيه، وما يحتاج إليه ذلك من مجاهدة شديدة الصلابة لإماتة تواضع الجسد المقطور عليها.

تُسبب إلى الفيلسوف اليوناني أفلاطون لأنها في جعلتها أميل إلى الأخذ عن مذهب أفلاطون والنزوع إلى فلسفته خاصة خيالاته في عالم المثل، لكن خلطتها بالإنهام الشرقي، فهي بشكل عام خليط من الأفكار والفلسفات والمعتقدات الوثنية واليهودية والنصرانية والأساطير وغيرها، إلا أن ما جاء به أفلوطين من أفكار وآراء حول عملية الفيض أو الصدور عن الله تمثل الإضافة الخاصة بأفلوطين. إذ يُعدُّ أفلوطين (ولد سنة ٢٠٥ م في مدينة "ليقيوليس" مدينة أسبوط حالياً) هو المؤسس الحقيقي للمدرسة الأفلاطونية الحديثة، ويعتبر أهم مجدد لبنائها وأكبر حامل للوائها. ويستوحي أفلوطين مبادئ فلسفته أساساً من أفلاطون، لذلك سميت فلسفته بـ "الأفلاطونية الحديثة" وبشكل خاص يطور أفلوطين بعض الأفكار الأساسية التي وردت في بعض المحاورات الأفلاطونية؛ كي يكون تصوراً خاصاً به للوجود والعالم والمنزلة **للإنسان**

أركان هذه الفلسفة هي ثلاثة أقانيم، لكن لكل من هذه الأقانيم خصوصيته، الإله الواحد أو الإله الأول الذي هو ساكن، ومنه يصدر العقل الكلي أو اللوغوس الذي يحتوي على مُثل الأشياء لفلسفة أفلاطون ومن العقل الكلي تصدر النفس الكلية ومنها تخرج النفوس الجزئية بشكل هيولي (مادي). وقد راققت فكرة الأقانيم الثلاثة للاهوتيين المسيحيين فأخذوا بها، يقول (دين انج) في كتابه الفريد عن الأفلاطونية عن هذا الموضوع حيث يقول:

قررها فيلون وعند النصاري، وهي التي بنى عليها أهل الكلام قولهم بخلق القرآن سواء على مذهب المعتزلة أو حتى على مذهب الأشاعرة بالقول بالكلام النفسي - كما

وهو أن هناك نظرية تسمى نظرية الوسائط وهي تسمى عنده (فكرة الكلمة)، وتسمى (نظرية اللوغوس) ^(٢٩) باليونانية، وهي فكرة عند اليونان وتطورت عند اليهود كما

مذهب الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وأن أصول فكرتهم بالقول بخلق القرآن أو بالكلام النفسي مأخوذ عن اليهود واليونان ، وينقل الدكتور كلام من أراد أن يرفع التناقض الذي وقع فيه فيلون حول نظرية الكلمة ، وجعلها مرة منفصلة مخلوقة ومرة صفة من صفاته فيقول: " فأما أصحاب الرأي الأول فيرفعون هذا التناقض بأن يفرقوا بين الكلمة النفسية وبين الكلمة الخارجية ، ويهيئون هنا بتفرقة تجدها عند فيلون فيما يتصل بالإنسان ، ففيلون يذكر أن الكلام عند الإنسان ينقسم إلى قسمين : كلام نفسي وهو الذي يكون عبارة عن تصورات ذهنية ، لا يعبر عنها بالخارج بأصوات ، وكلام خارجي يعبر عنه في الخارج باللفظ أو الصوت ، وتبعاً لأصحاب هذا الرأي سيكون كلام الله منقسماً إلى هذين القسمين : إلى كلام نفسي وهو اللوغوس بحسبانه العلم كصفة من صفات الله ، وإلى كلام خارجي هو اللوغوس بوصفه الصورة المعقولة التي هي نموذج الأشياء "أ.هـ.^(٢١)

وبهذا النقل يتبين تأثير الفلسفة اليونانية على الديانة اليهودية التي اعتنق منظروها كثيراً من انحرافاتهما وفسروا به نصوص التوراة واعتقاداتهم في كلام الله عز وجل .

وختاماً أنقل لك نصاً صريحاً عن هذا الفيلسوف (فيلون) يقرر نفس عقيدة الجعد والجهمية والمعتزلة القائلين بخلق القرآن وأن مصدرها من فلاسفة اليهود المتأثرين بالفلسفة اليونانية حيث يقول-حاكياً قصة تكليم الله موسى على طور سيناء : " وفي

سوف نبينه إن شاء الله- ، ويرى الدكتور عبد الرحمن بدوي أن هذه النظرية أخذها فيلون عن اليهود وعن اليونان وهو الذي أثر على المسيحية بهذه الفكرة ، ويقول الدكتور بدوي : " وأياً ما كان الرأي فإنه يشاهد أن اليهودية في كتاباتها المقدسة كان لها أثر كبير ، في تفكير فيلون من حيث نظرية اللوغوس ، ولكن الأثر الحقيقي الأكبر في هذه الفكرة عند فيلون هو الفلسفة اليونانية "أ.هـ.^(٢٠) ، وهذا يؤكد ما قرره الأئمة وشيخ الإسلام أن هذه العقيدة مأخوذة عن اليهود المتأثرين بكلام الفلاسفة اليونانيين.

فما هي فكرة الكلمة ؟

هي فكرة مزيج بين القول بأن صفة الكلام من خلق الله وبين القول بوحدة الوجود ، فالفيلسوف اليهودي فيلون يرى أن هناك وسائط بين الله وبين خلقه وهي هذه الكلمة ويسمونها بالقوى الإلهية ، وهذه الكلمة أو اللوغوس يتناقض في وصفها فمرة ينعتها بأنها ليست أزلية كالله كما أنه ليس فانيا كال مخلوقات ، ويرى أن البدء كان من الله وتارة يصف اللوغوس بأنه صفة من صفات الله وهو العلم وعليه فهي جانب من جوانب الله وشيء باطن فيه ، ومرة يقرر أنه صدر صدوراً خارجياً عن الله بمعنى أنه ليس صفة له ، وهوشيء قد صدر وانفصل عنه، وهذا حقيقة مذهب الجهمية والمعتزلة في كلام الله.

ولعلي أسوق كلاماً لبدوي نفسياً يبين حقيقة النظرية ، وكيف أنها تتطابق مع

حِزَان

مدينة قديمة في بلاد ما بين النهرين. تقع حالياً في تركيا. اشتهرت حِزَان قديماً ببسبى، عاملين، أولهما وقوعها على طريق تجاري هام يصل بين آسيا الوسطى وبلاد الشام، وثانيهما كونها كانت مركزاً لبسبى الوسط بعيداً عن البحر (عبر) الذي كان الآشوريون يتسولونه فيحصلون له الثمن والهدايا.

كان لوف حِزَان التجاري قبل الميلاد أهمية كبيرة في تنوع ثقافتها. فقد استوطنتها مكشوريون جاءوا مع الإسكندر المقدوني. وقد أطلقوا على لغة حِزَان أسماء بولندية. كما استقر بها سوريون وفرس وآرمين ومصريين. وبقيت هذه المدينة محافظة على وثائقها حتى بعد الفتح المسيحي.

أما عصر الحسنة عصر من العائلات استقلت حِزَان للقائد العربي عباس بن المهدي عام ٢٢٨/٢٢٩م وكانت تعدّ لذلك حاضرة بلاد مصر العربية. بقيت حِزَان خلال الحكم الأموي قلعة إجمالاً للهدوء. بسبب لمناخ أصالتها التجارية وتنازع معتقداتها الدينية التي كانت مزيجاً من الديانة السابلية القديمة واليونانية والأفلاطونية الحديثة، وجميع هذه المعتقدات ذات طابع وثني بالإضافة إلى

العصاة الذين يحضرون. تضمنت سجلاتهم علماء يهود من المدينة الحزاني بنية الصانع في قصة مشهور.

وبل أولمصر مصر النبي استكت إليها عاصمة الدولة. إذ جعلها مروان الثاني بن محمد مقراً لإقامته ونقل إليها دواوين الدولة وإدارتها... ليكون على مقربة من خصوصية الفلاحين والفلاحين.

كانت اللغة السائدة في حِزَان اللغة السريانية وهي لغة سكانها الأصليين، وكان علماءها يتلقون من خلفاء المهتم ثقافة الرومانية وينشرون الحضارة الأوروبية. هذا بالإضافة إلى إتقانهم لغة العربية لغة الدولة الرسمية. لذا كان من السهل على علماءها ومثقفها أن يتفكروا إلى اللغة العربية لمهمات الكتب العلمية والثقافية سواء منها اليونانية أو السريانية. وقد تعلمهم على ذلك ما أحدهم عليهم بعض خلفاء بني العباس من أموال وهبات، وما أظهر ونحوهم من احترام وتقدير. وبرز في مقدمة هؤلاء العلماء ثابت بن قرة مترجم علوم اليونان وأولاده وصعد الثنائي عالم الفلك المشهور... تكن أفضل من جادت به حِزَان على الإطلاق في عصر الإسلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فإنه حِزَان الأصل.

بتصرف كبير عن مقالة الكترونية: حِزَان المدينة المنسية - عبد الرحمن بدر الدين

ليست من كلام الله ، بل خلقها الله في الهواء أو صنفها جبريل أو محمد... أ.هـ. (٢٤)

بل قرر صاحب كتاب "فلسفة الكلام" بأن هذه العقيدة؛ وهي القول بأن كلام الله مخلوق هي عقيدة سائر اليهود الآن (٢٥).

ولعل السر في ذلك والله أعلم كردة فعل على الافتراءات والتشبيه والتجسيم المكذوبة على الله في التوراة كما أشار بعض نقاد التوراة من اليهود، وقام بهذه المهمة فلاسفتهم المتأثرون بالفلسفة اليونانية كما ذكرنا سابقاً. (٢٦)

ذلك الوقت ، أجرى الله تعالى معجزة مباركة فأمر بخلق صوت غير مرئي في الهواء ، وهذا الصوت كان صوتاً ناطقاً ومسموعاً.. (٢٣)

وهو عين كلام الجهمية والمعتزلة الذين نقل من كتب الفرق أقوالهم وعقائدهم. (٢٢)

وقارن هذا الكلام عن هذا الفيلسوف اليهودي حول كلام الله بما نقله شيخ الإسلام عن بعض أرباب المذهب الأشعري حيث يقول -رحمه الله - عن اعتقادهم في القرآن: "إنه معنى قائم بذات الله فقط، وأن الحروف

حقيقة القول

بخلق القرآن ومن قال به

المشهور أن القول بخلق القرآن هو قول الجهمية والمعتزلة^(٢٧) وتأثر بهم فيما بعد متأخرو الشيعة والخوارج^(٢٨)، وبسط الكلام حول هذه القضية ليس الهدف من هذا البحث المختصر لأنه معلوم ومشهور عند كل من له عناية بعلم العقيدة والفرق الإسلامية، ولكن الذي نريد أن نجليه ونوضحه هنا أن مذهب الأشاعرة والماتريدية في كلام الله أنه عبارة عن كلام الله وكلام الله على الحقيقة المعنى النفسي، وأن الذي بين أيدينا وبين الدفتين مخلوق وهو ليس كلام الله حقيقة، وعند التحقيق لا نجد فرقاً جوهرياً مع المعتزلة في القول بخلق القرآن، ومر معنا الخلاف في أصولها اليونانية اليهودية، وأنها كلها تنزع القداسة عن كلام الله المكتوب في المصاحف.

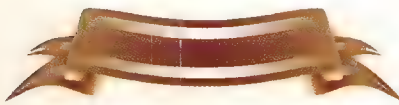
ولهذا يقرر شيخ الإسلام أن الأشعري ينص على أن كلام الله العربي الذي بين أيدينا مخلوق، ونص عبارته: "ولكن المشهور عنه - أي الأشعري - أن الكلام العربي مخلوق، ولا يطلق عليه بأنه كلام الله" أ.هـ.^(٢٩) بل ينص شيخ الإسلام على عدم الفرق بين قول المعتزلة والجهمية وبين قول الأشاعرة والكلابية حيث يقول: "فإن هذا القرآن العربي لا بد له من متكلم تكلم به أولاً قبل أن يصل إلينا، وهذا القول يوافق قول المعتزلة ونحوهم في إثبات خلق القرآن العربي، وكذلك التوراة العبرية، ويفارقه من

وجهين: أحدهما أن أولئك يقولون أن المخلوق كلام الله وهم يقولون إنه ليس كلام الله لكن يسمى كلام الله مجازاً هذا قول أئمتهم وجمهورهم، وقال طائفة من متأخريهم: بل لفظ الكلام يقال على هذا وهذا بالاشتراك اللفظي، لكن لفظ هذا الكلام ينقض أصلهم في إبطال قيام الكلام بغير المتكلم به، ومع هذا لا يقولون أن المخلوق كلام الله حقيقة كما يقولوه المعتزلة مع قولهم أنه كلام حقيقة، بل يجعلون القرآن العربي كلاماً لغير الله وهو كلام حقيقة، وهذا شر من قول المعتزلة وهذا حقيقة قول الجهمية، ومن هذا الوجه نقول: المعتزلة أقرب، وقول الآخرين هو قول الجهمية المحضة، لكن المعتزلة في المعنى موافقون لهؤلاء وإنما ينازعونهم في اللفظ، الثاني أن هؤلاء يقولون: لله كلام هو معنى قديم قائم بذاته، و(الخلقية)^(٣٠) يقولون لا يقوم بذاته كلام، ومن هذا الوجه الكلابية خير من (الخلقية) في الظاهر، لكن جمهور الناس يقولون إن أصحاب هذا القول عند التحقيق لم يثبتوا كلاماً له حقيقة غير المخلوق، فإنهم يقولون إنه معنى واحد هو الأمر والنهي والخبر، إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً، ومنهم من قال هو خمس معان.^(٣١) أ.هـ.

وحتى لا يكون الكلام بغير برهان ولا دليل أسوق بعض كلام أئمة الأشاعرة والماتريدية في القديم والحديث يؤكد ما قررناه سابقاً عنهم، وذلك بتصريحهم بأن القرآن الموجود

إثبات كلام النفس ونفيه ، وأن القرآن هو المتلوهذا المؤلف من الحروف الذي هو كلام حسي ، وإلا فلا نزاع لنا في حدوث الكلام الحسي "أ.هـ.^(٤٦) وهذا تصريح واضح بالاتفاق مع المعتزلة بالقول بخلق القرآن .^(٤٨)

فخلاصة بحثنا أن ما نقرره من مآلات فاسدة مفسدة لعقيدة المسلمين ينصب على المعتزلة والأشاعرة والماتريدية لأنهم متفقون على أن القرآن الذي بين أيدينا مخلوق.^(٤٩) ويقرر شيخ الإسلام أن حقيقة قول الأشاعرة استفاضت عند الناس أن القرآن ليس كلام الله وأن كلامهم متناقض وأنهم من بعض الوجوه تكون المعتزلة أخف منهم بدعة .^(٥٠) وأن ماذم السلف به المعتزلة ينال الأشاعرة منه النصيب الأوفى.^(٥١) ورحم الله ابن قدامة حين قال : "وعند الأشعرى أنها-أي السور والآيات -مخلوقة ، فقوله قول المعتزلة لا محالة ، إلا أنه يريد التلبس فيقول في الظاهر قولاً يوافق أهل الحق ، ثم يفسره بقول المعتزلة "أ.هـ.^(٥٢)



الآن في أيدينا مخلوق ، وأن القول بأن كلام الله نفسي وأن الموجود عبارة عن كلام الله قضية مشكلة ومحيرة بين أوساط الأشاعرة.

-يقول إمام الحرمين أبو المعالي الجويني: "فإن معنى قولهم-يعني المعتزلة -(هذه العبارات كلام الله) أنها خَلَقَهُ ، ونحن لا ننكر أنها خلق الله .. "أ.هـ.^(٤٢)

-ويقول الرازي : "واعلم إن التحقيق أن لا نزاع بيننا وبينهم في كونه متكلماً بالمعنى الذي ذكروه"^(٤٣) ، قال شيخ الإسلام معقياً : "الوجه الثالث: أن الرجل قد أقر أنه لا نزاع بينهم وبين المعتزلة من جهة المعنى في خلق الكلام بالمعنى الذي يقوله المعتزلة ، وإنما النزاع لفظي حيث إن المعتزلة سمت ذلك المخلوق كلام الله ، وهم لم يسموه كلام الله "أ.هـ.^(٤٤) ، -يقول أبو المعين النسفي : "فأسمعه جبريل بالصوت والحروف فخلق صوتاً فسمعه بذلك الصوت والحروف .. "أ.هـ.^(٤٥) -يقول الباجوري : "واعلم إن كلام الله تعالى يطلق على الكلام النفسي القديم بمعنى : أنه صفة قائمة بذاته ، كما يطلق على الكلام اللفظي بمعنى : أنه خلقه "أ.هـ. ومع هذا نرى تناقض هؤلاء وخجلهم من البوح بهذا المعتقد القبيح لعامة الناس فيستدرك الباجوري على الكلام السابق ويقول : "ومع كون اللفظ الذي نقرأه حادثاً لا يجوز أن يقال: القرآن حادث إلا في مقام التعليم .. "أ.هـ.^(٤٦)

ويقول التفازاني : "فبقي النزاع بيننا وبين المعتزلة ، وهو في التحقيق عائد إلى

مآلات القول بخلق القرآن عليه

فصل : مذاهب المتكلمين (كما قرره السلف).

حق الرسالة المحمدية ، وفي الشريعة الإلهية برمتها ، ولعلي أذكر بعضاً من هذه المآلات التي أشار إليها السلف وسطروها في كتبهم ، حفظاً لعقيدة المسلمين ، ودفاعاً عن كلام رب العالمين ، مع صبرهم وثباتهم رغم ما لقوهم من عنت ومشقة وأذية بسبب وقوفهم أمام هذه البدعة العظيمة ، والفرية الشنيعة ، وأبرز هذه المآلات ما يلي:

**العلم الأول : أن الله أو شيئاً من صفاته
يكون مخلوقاً.**

من فقه السلف - رحمهم الله - أنهم تنبهوا إلى خطورة القول بخلق القرآن ومن أعظم ما تؤول إليه هذه البدعة الخطيرة ، والزلة العظيمة؛ هو القدح في ذات الرب ، والتدرج إلى اعتقاد أمر قد يكون مستبعداً في بداية الأمر ، ولكن مع مرور الأزمان ، وغلبة الجهل ، ودروس العلم قد يقال: إن الله أو شيئاً من صفاته مخلوق ، وحتى لو لم يُقَلَّ صراحةً ففيه نزع ومساس بقُدسية وتعظيم الرب جل وعلا وأسمائه وصفاته في قلوب من يقولون بهذا القول المبتدع ، وبين السلف أن الزنادقة الطاعنين في الإسلام يتدرجون في القدح في الدين وأصوله ومسلماته من خلال هذه الأقول المبتدعة ، قال الإمام مالك : " القرآن كلام الله عز وجل ، وكلام الله

إن من يتأمل موقف السلف الصارم والقوي من القول بخلق القرآن يدرك تمام الإدراك عمق فهمهم ورسوخ قدمهم في فهم نصوص الكتاب والسنة واطلاعهم على دقائق مقالات الفرق الضالة ، وما تؤول إليه وإن لم يصرحوا بها ، ولعظم هذه الفرية في حق كلام الله وفي المصدر الأول في التشريع الإسلامي كانت فتواهم التي أجمعوا عليها : أن من يقول بخلق القرآن فهو كافر^(٥٢) ، وأكتفي هنا بذكر كلام الإمام اللالكائي بعد أن سرد أقوال السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم حتى عد خمسمائة وخمسين نفساً قال : " قالوا كلهم القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر ، فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفساً أو أكثر من التابعين وأتباع التابعين والأئمة المرضيين سوى الصحابة الخيرين على اختلاف الأعصار ومضي السنين والأعوام ، وفيهم نحو من مائة إمام ممن أخذ الناس أقوالهم وتدينوا بمذاهبهم ، ولو اشتغلت بنقل أقوال المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفاً كثيرة ، لكنني اختصرت وحذفت الأسانيد للاختصار . ومن أنكر قولهم استتابوه أو أمروا بقتله أو نفيه أو صلبه " أ.هـ^(٥٤)

ومما يؤيد هذا الحكم ويعضده نقلاً وعقلاً هو بيان ما تؤول إليه من مآلات فاسدة في حق الله جل وعلا وذاته المقدسة ، وفي

كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ [النحل: ٤٠] ، ومما استدل به السلف على هذا الأمر وأن القول بخلق القرآن يؤدي إلى القول بأن الله أو شيئاً من صفاته مخلوق : قوله عز وجل : ﴿ وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾ [السجدة: ١٣] ، وما كان منه فهو غير مخلوق ، وهذا كله إشارة إلى أعظم مآل وهو :

أن يكون شيء من صفات الله أو ذاته مخلوقاً. ^(٦٠) ، قال الأشعري -تعليقاً على هذه الآية- : " وكلام الله من الله تعالى ، فلا يجوز أن يكون كلامه الذي هو منه مخلوقاً في شجرة مخلوقة ، كما لا يجوز أن يكون علمه الذي هو منه مخلوقاً في غيره تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً " أ.هـ. ^(٦١)

ويقول الإمام ابن بطة : " فزعموا أن القرآن مخلوق ، والقرآن من علم الله تعالى وفيه صفاته العليا وأسماؤه الحسنى ، فمن زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن الله كان ولا علم ، ومن زعم أن أسماء الله وصفاته مخلوقة فقد زعم أن الله مخلوق محدث ، وأنه لم يكن ثم كان ، تعالى الله عما تقوله الجهمية الملحدة علواً كبيراً " أ.هـ. ^(٦٢)

ويقول الإمام السجزي بعبارة أكثر وضوحاً : " لأن من قال : إنه مخلوق صار منكراً لصفة من صفات ذات الله عز وجل ، ومنكر الصفة كمُنكر الذات ، فكفره كفر جحود لا غير " أ.هـ. ^(٦٣)

والإمام أحمد يقدم لطلابه دليلاً عقلياً على هذه النتيجة الخطيرة لمن يقول بخلق القرآن فقد سئل : إن الناس قد وقعوا في أمر

تعالى من الله سبحانه ، وليس من الله جل وعلا شيء مخلوق " ^(٥٥) ، وقال الإمام أحمد " من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن الله مخلوق " ^(٥٦) ، ونص السلف -رحمهم الله - أن هذا القول أصل الزندقة بناء على ما سبق ذكره لأنه يعود بالقدر على ذات الرب جل وعلا ؛ فقد سأل رجل عبد الله بن إدريس عمن يقول : القرآن مخلوق -من اليهود ؟ قال : لا ، قال : من النصارى ؟ قال : لا ، قال : من المجوس ؟ قال : لا ، قال : ممن ؟ قال : من أهل التوحيد ، قال : معاذ الله أن يكون هذا من أهل التوحيد ، هذا زنديق . من زعم أن القرآن مخلوق ، فقد زعم أن الله عز وجل مخلوق ، يقول الله عز وجل : بسم الله الرحمن الرحيم ، فالرحمن لا يكون مخلوقاً ، والرحيم لا يكون مخلوقاً ، والله لا يكون مخلوقاً ، فهذا أصل الزندقة " أ.هـ. ^(٥٧)

وبين السلف أيضاً بالتفصيل كيف يؤول هذا القول الفاسد لمثل هذه النتيجة الخطيرة فقد نقل عن الشافعي كما جاء عن البويطي صاحب الإمام الشافعي أنه قال : " : إنما خلق الله كل شيء بـ(كن) ، فإن كانت (كن) مخلوقة فمخلوق خلق مخلوقاً " أ.هـ. قال : فحكاه الربيع قلت (القائل اللالكائي) : " وهذا معنى ما يعبرون عنه العلماء اليوم : إن هذا (كن) الأول كان مخلوقاً ، فهو مخلوق بـ(كن) أخرى ؛ فهذا يؤدي إلى ما يتناهى ، وهو قول مستحيل " أ.هـ. ^(٥٨)

وكلام الشافعي استنبطه من قول الله جل وعلا ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ جَلْ وَعَلَا ﴾

فأخبرته فقال : صدق أبو محمد عافاه الله ،
ما كان الله ليأمرنا أن نعبد مخلوقاً" أهـ^(٦٧)

وقد أنشد الإمام ابن المبارك^(٦٨) : لا أقول
بقول الجهم إن له قولاً يضارع قول الشرك
أحياناً وجاء عن سوار بن عبد الله القاضي
يقول : "دخلت على رجل أعوده من وجع به
، فقال : القرآن ليس بمخلوق ، وذلك أنه كل
من عوذني قال أعيذك بالله ، أعيذك بالقرآن
، فعلمت أن القرآن ليس بمخلوق" أهـ^(٦٩) ،
وقال الإمام البخاري : "باب ما كان النبي
صلى الله عليه وسلم يستعيز بكلمات الله لا
بكلام غيره ، وقال نعيم : لا يستعاذ بالمخلوق
ولا بكلام العباد ، والجن والإنس والملائكة
" قال البخاري : وفي هذا دليل أن كلام الله
غير مخلوق وأن سواه خلق" أهـ^(٧٠) ، ويقول
شيخ الإسلام ابن تيمية : "ولهذا كان السلف
يقولون في هذه الآية - يعني قوله تعالى ﴿إِنِّي
أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤] -
وأمثالها : من قال : إنه مخلوق فقد كفر ،
ويستعظمون القول بخلق هذه الآية وأمثالها
أكثر من غيرها يعظم عليهم أن تقوم دعوى
الإلهية والربوبية لغير الله تعالى" أهـ^(٧١) .

المالك الثعلبي ، وصف الله بالنعيم والعيوب

ومما آل إليه القول بخلق القرآن جملة
من النقائص والعيوب في حق الله عز وجل
نجمها فيما يلي :

١- اعتقاد أن شيئاً من ذاته أو صفاته
يفنى ويبيد : وقد استنبط هذا المأل أهل السنة

القرآن فكيف أقول ؟ قال الإمام أحمد : ليس
أنت مخلوق ؟ قال : نعم ، قال : فكلامك منك ،
مخلوق ؟ قال : نعم ، قال : أوليس القرآن من
كلام الله ؟ قال : نعم ، قال : فيكون من الله
شيء مخلوق ؟^(٦٤)

ويقول شيخ الإسلام -معلقاً على هذا
الاستدلال من الإمام أحمد :- "بين أحمد
للسائل أن الكلام من المتكلم وقائم به ، لا
يجوز أن يكون الكلام غير متصل بالمتكلم ، لا
قائم به ، بدليل أن كلامك أيها المخلوق منك
لا من غيرك ، فإذا كنت أنت مخلوقاً وجب
أن يكون كلامك أيضاً مخلوقاً ، وإذا كان الله
تعالى غير مخلوق امتنع أن يكون ما هو منه
وبه مخلوقاً" أهـ^(٦٥)

المالك الثاني : (تصوير الشرك بالله)

ويستدلون بأنه يستعاذ بكلمات الله ومن
زعم أن القرآن مخلوق فكأنه يجيز أن يستعاذ
بمخلوق وهو شرك بالله العظيم ، فمأل من
قال إن القرآن مخلوق أنه يجوز أن يشرك
بالله ويستعاذ بمخلوق .

قال اللالكائي : "وقال تعالى : ﴿وَأَعْبُدُوا
اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦] ، ومن أعظم
الشرك أن يقال : إن العبادة لاسمه واسمه
مخلوق ، وقد أمر بالعبادة للمخلوق" أهـ^(٦٦) .

"وسأل رجل النضر بن محمد عن
القرآن فقال النضر : من قال بأن هذه الآية
﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤]
مخلوقة فقد كفر . فلقيت عبد الله بن المبارك

لإلزام أهل البدع القائلين بخلق القرآن^(٧٢).

ربنا ليست بمخلوقة" أ.هـ^(٧٤).

٢- وصف الله بضد الكلام وهو الخرس والبكم والآفات أو يوصف بالجهل- تعالى الله عما يقولون- وهي من صفات الجمادات والأصنام:

قال الإمام ابن بطة -مصرحاً بأن هذا لازم ومآل يؤول إليه كلام هؤلاء القائلين بخلق القرآن-: "ويلزم الجهمي في قوله: إن الله لم يتكلم ولا يتكلم أن يكون قد شبه ربه بالأصنام المتخذة من النحاس والرصاص والحجارة فتدبروا -رحمكم الله -نفي الجهمي للكلام عن الله ، إنما أراد أن يجعل ربه كهذه ، فإن الله عز وجل غير قوما عبدوا من دونه آلهة لا تتكلم : فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ دَعَوْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَلُكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، فزعم الجهمي أن ربه كذا إذا دعي لا يجيب " أ.هـ^(٧٥).

ونص على هذا الإلزام أبو الحسن الأشعري حيث قال : " واعلموا رحمكم الله أن قول الجهمية :إن كلام الله مخلوق ، يلزمهم به أن يكون الله تعالى لم يزل كالأصنام التي لا تنطق ولا تتكلم ، لو كان لم يزل غير متكلم ، لأن الله تعالى يخبر عن إبراهيم عليه السلام أنه قال لقومه لما قالوا له : ﴿ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ ﴾ [١٢] قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦٢ - ٦٣] ، فاحتج عليهم بأن الأصنام إذا لم تكن ناطقة متكلمة ، لم تكن آلهة ، وأن الإله لا يكون غير ناطق ولا متكلم " أ.هـ^(٧٦).

وقال الدارمي: "وقال لقوم موسى حين

ومن ذلك ما سطره الإمام الدارمي حيث يقول: "وقال الله عز وجل : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنفَذَ كَلِمَتُ رَبِّي ﴾ [الكهف: ١٠٩] ، وقال: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ ﴾ [لقمان: ٢٧] وصدق وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو جميع مياه بحور السموات والأرض وعيونها وقطعت أشجارها أقلاماً ، لنفدت المياه ، وانكسرت الأقلام قبل أن تنفذ كلمات الله ، لأن المياه والأشجار مخلوقة ، وقد كتب الله عليها الفناء عند انتهاء مدتها ، والله حي لا يموت ، ولا يفنى كلامه ، ويزال متكلماً بعد الخلق ، كما لم يزل متكلماً قبلهم ، لا ينفد المخلوق الفاني كلام الخالق الباقي الذي لا انقطاع له في الدنيا والآخرة ، ولو كان على ما يذهب إليه هؤلاء الجهمية أنه كلام مخلوق أضيف إلى الله وأن الله عز وجل لم يتكلم بشيء قط ، ولا يتكلم بشيء قط ، ولن يتكلم لنفد كل مخلوق من الكلام قبل أن ينفد ماء بحر واحد من البحور .. " أ.هـ^(٧٢).

وقال الإمام التيمي : "وقال في كتابه ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنفَذَ كَلِمَتُ رَبِّي ﴾ الآية يفسره قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ ﴾ الآية يعني يكتب بها كلمات الله وكان البحر مداداً لم ينفد كلمات ربنا ، ولم يرد بالبحر بحراً واحداً ، أعلم الله تعالى : أنه لو جيء بمثل البحر مداداً وزيد على مائه سبعة أبحر لم تنفذ كلمات الله فدل بهذه الأشياء أن كلمات

٣- الزعم بأنه كلام بشر كقول المشركين قال الإمام الدارمي : " وأي زندقة بأظهر ممن ينتحل الإسلام في ظاهره ، وفي الباطن يضاهي قوله في القرآن قول مشركي قريش الذين ردوا على الله ورسوله ، فقالوا ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَنْخِلَئِقُ ﴾ [ص:٧] ، و﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٥] ، ﴿ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ ﴾ [النشر: ٢٥] ، كما قالت الجهمية سواء: إن هذا إلا مخلوق "أهـ. (٨١)

الكتاب الرابع : أن القول بخلق القرآن يعود

على كل الرسالة والشرعة التي من عند الله بالإبطال : يقول الإمام الهروي -رحمه الله " وأما الذين قالوا بإنكار الكلام لله عز وجل : فأرادوا إبطال الكل ، لأن الله تعالى إذا لم يكن -على زعمهم الكاذب- متكلماً بطل الوحي ، وارتفع الأمر والنهي ، وذهبت الملة عن أن تكون سمعية فلا يكون جبريل -عليه السلام -سمع ما بلغ ولا الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ ما أنفذ فيبطل التسليم والسمع والتقليد ويبقى المعقول الذي قاموا به "أهـ. (٨٢) والواقع يصدق هذه المقولة فكل من تأثر بمقولاتهم ترك دينه وعبادته لربه كما فعل الجهم وغيره من رؤوس أهل البدع وقد قال الإمام البيكندي شيخ البخاري : " وكلامهم يدعوا إلى الزندقة ، وكلامهم وصفناه لغير واحد من أهل الفقه والبصر فمالوا آخر أمرهم إلى الزندقة ، والرجل إذا رسخ في كلامهم ترك الصلاة واتباع الشهوات "أهـ. (٨٣) يقول الإمام السجزي في رده على قول الأشعري في كلام الله : " وأما رفع أحكام الشريعة ، فلاؤها

اتخذوا العجل ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [طه: ٨٩] ، وقال ﴿ عَجَلًا جَسَدًا لَّهُ خَوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يُدِيرُهُمْ سَبِيلًا أَنْخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٨] ، ففي كل ما ذكرناه تحقيق كلام الله وتشبيته نصاً بلا تأويل ، ففيما عاب الله به العجل في عجزه عن القول والكلام بيان بين أن الله عز وجل غير عاجز عنه ، وأنه متكلم وقائل ، لأنه لم يكن يعيب العجل بشيء هو موجود به "أهـ. (٧٧)

ويقول الحافظ الكرجي القصاب -عند قوله تعالى (بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون)- : "أليس كان عجز آلهتهم عن الكلام نقصاً فيها ، وأحد علامات تحقق بطلان الإلهية عنها ؟ ، فأراهم لا يرون -ويجهم -إلا على أن يصفوه صفة الموات ، ومن لا يقدر على نطق ولا حركة ، وهذا هو التعطيل بعينه نعوذ بالله منه "أهـ. (٧٨) وفي بعض المواضع يشير السلف إلى هذا المآل بلفظ مختصر ، بعيد عن الإسهاب والشرح ، وهذا يدل على رسوخ قدمهم في العلم بكتاب الله والاستنباط منه ، فقد قال هارون بن معروف : " من قال القرآن مخلوق فهو يعبد صنماً " (٧٩)

وقال الإمام البخاري " وقال بعض أهل العلم : إن الجهمية هم المشبهة ؛ لأنهم شبهوا ربهم بالصنم والأصم والأبكم الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ولا يخلق ، وقالت الجهمية : وكذلك لا يتكلم ولا يبصر نفسه ، وقالوا: إن اسم الله مخلوق "أهـ. (٨٠)

قتل من يقدر في الأنبياء - عليهم السلام - وقولهم يتضمن أعظم القدح؛ لكن لم يعرفوا ذلك، ولازم القول ليس بقول، فإنهم لو عرفوا هذا يلزمهم ما التزموه..^(٨٦)

ولكن بطبيعة الحال ، الفرق قائم بين المعتزلة والأشاعرة من جهة ، وبين من أعمل مناهج النقد الغربي في نصوص الكتاب من علمانيين وماركسيين كنص غير إلهي مستفيدين من القول بخلق القرآن عند أولئك من جهة أخرى ، لكونهم التزموا هذه اللوازم الفاسدة وصرحوا بذلك في كلامهم ، بل تبني القول بخلق القرآن ابتداء على النحو الذي ساروا عليه في نقد نصوص الوحي ، كان المدخل لهم في إبطال أحكام الشريعة ، وإدعاء عدم صلاحيتها.

المادة الخامسة: الاستحالة والاستحسان بخلق الله

والباعث لهذا المآل الخطير هو أنهم قرروا أن الذي بين أيدينا ليس هو كلام الله الذي هو صفته بل مخلوق من مخلوقاته وهذا الأمر اتفق فيه المعتزلة والأشاعرة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا الأمر وسبب وقوعهم في هذه الأمور الخطيرة المخرجة من الملة - وهو يعرض اعتقاد الأشاعرة والكلابية في كلام الله - : " إنه معنى قائم بذات الله فقط ، وأن الحروف ليست من كلام الله ، بل خلقها الله في الهواء ، أو صنفها جبريل ، أو محمد ، فضموا إلى ذلك أن المصحف ليس فيه إلامداد وورق ، وأعرضوا عما قاله سلفهم من أن ذلك دليل

إنما تثبت بالقرآن فإذا كان الأشعري عنده القرآن غير هذا النظم العربي ، وأهل الحل والعقد لا يعرفون ما يقوله ارتفعت أحكام الشريعة ولا خلاف بين المسلمين أن من جحد سورة من القرآن أو آية منه أو حرفاً متفقاً عليه فهو كافر "أ.هـ.^(٨٧)

يقول البغدادي بعد أن ساق اعتقاد بعض طوائف المعتزلة في القول بخلق القرآن : " وإذا لم يكن له كلام لم يكن له أمر ونهي وتكليف ، وهذا يؤدي إلى رفع التكليف ، وإلى رفع أحكام الشريعة "أ.هـ.^(٨٨)

وهذا المآل يصدق على كل من قال بأنه مخلوق سواء المعتزلة القائلين بأنه لفظه ومعناه مخلوق أو الأشاعرة القائلين بأن ألفاظه دون معانيه مخلوقة .

ولكن هنا ننبه لأمر ، وهو أن لازم المذهب كفر على كل حال ، لكونه مؤدي إلى مخالفة قطعيات الكتاب والسنة ، لكن مع ذلك لا نطرد الحكم على القائل ، لا على سبيل التعميم ولا التعيين ، لأن ليس كل لازم فاسد عن قول يتبناه قائله ، لغفلة عن اللازم أو قصور في إدراك تصويره لازماً أو نحوه من الأمور ، لذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في القائلين بمذهب التفويض :

" ولا ريب أنهم لم يتصوروا حقيقة ما قالوه ولوازمه، ولو تصوروا ذلك لعلموا أنه يلزمهم ما هو من أقبح أقوال الكفار في الأنبياء، وهم لا يرتضون مقالة من ينتقص النبي - صلى الله عليه وسلم -، ولو تنقصه أحد لاستحلوا قتله، وهم مصيبون في استحلال

، بل إن نشر هذا الاعتقاد يضعف التعظيم لكتاب الله في قلوب العوام، يقول الإمام ابن الجوزي: "قدم إلى بغداد جماعة من أهل البدع الأعاجم، فارتقوا المنابر لتذكير العوام فكان معظم مجالسهم أنهم يقولون: ليس لله في الأرض كلام، وهل المصحف إلا ورق... إلى (أن قال) : ثم يقولون: أين الحروفية الذين يزعمون أن القرآن حرف وصوت؟ هذا عبارة جبريل، فمزالوا كذلك حتى هان تعظيم القرآن في صدور كثير من العوام وصار أحدهم يسمع فيقول: هذا هو الصحيح، وإلا فالقرآن شيء يجيء به جبريل في كيس" ^(٩٠)، وأعظم من هذا ما ثبت عن الجهم زعيم الطائفة المخذولة بإهانته للمصحف كما روى ذلك أئمة السنة "أن رجلاً من أهل مرو كان صديقاً لجهم ثم قطعه وجفاه، فقيل له: لم جفوته؟ فقال: جاء منه ما لا يحتمل؛ قرأت يوماً آية كذا وكذا -نسيها يحيى- فقال: ما كان أظرف محمداً فاحتلمتها، ثم قرأ سورة طه، فلما قال ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ^(٩١) إلى حكها لحككتها من المصحف، فاحتلمتها، ثم قرأ سورة القصص، فلما انتهى إلى ذكر موسى قال: ما هذا؟ ذكر قصته في موضع فلم يتمها، ثم ذكرها هنا فلم يتمها، ثم رمى بالمصحف من حجره فوقه، فوثبت عليه" ^(٩١) أهـ.

ولهذا وجب التحذير من هذه البدعة عبر العصور وفي كل البلدان حتى يبقى لكتاب الله هيئته في النفوس كما أراد الله ورسوله. ^(٩٢)

على كلام الله فيجب احترامه لما رأوا أن مجرد كونه دليلاً لا يوجب الاحترام، كالدليل على الخالق المتكلم بالكلام، فإن الموجودات كلها أدلة عليه، ولا يجب احترامها، فصار هؤلاء يمتهنون المصحف حتى يدوسوه بأرجلهم، ومنهم من يكتب أسماء الله بالعذرة، إسقاطاً لحرمة ما كتب في المصحف والورق من أسماء الله وآياته، وقد اتفق المسلمون على أن من استخف بالمصحف، مثل أن يلقيه في الحش أو يركضه برجله، إهانة له، أنه كافر مباح الدم، فالبدع تكون في أولها شبراً ثم تكثر في الاتباع حتى تصير ذراعاً وأميالاً وفراسخ... أهـ. ^(٩٧)، ويقول الإمام ابن القيم: "ومن هنا استخف كثير من أتباعهم بالمصحف وجوزوا دوسه بالأرجل لأنه يزعمهم ليس فيه إلا الجلد والورق... أهـ. ^(٩٨)، وهذا الذي أشار إليه شيخ الإسلام وابن القيم عن الأشاعرة وأهل الكلام واستخفافهم بكلام الله والمصحف وأن الذي آل بهم إلى هذا هو قولهم المبتدع في كلام الله بأنه مخلوق أكده ابن حزم حيث قال: "ولقد أخبرني علي بن حمزة المرادي الصقلي الصوفي أنه رأى بعض الأشعرية يبطح المصحف برجله، قال فأكبرت ذلك وقلت له: ويحك هكذا تصنع بالمصحف وفيه كلام الله تعالى؟ فقال لي: ويلك والله ما فيه إلا السخام والسواد، وأما كلام الله فلا" ^(٩٩) أهـ.

والقصص التي وردت في الاستهانة بكتاب الله وعدم تعظيمه عن القائلين بخلق القرآن سواء من الجهمية أو الأشعرية كثيرة وهي شاهدة على أن هذا من أعظم المآلات

كتاب مائات: الذي لا يحد من القول

وهذا يشمل من نفى الإعجاز عن لفظه ومعناه ، أو عن لفظه دون معناه ، وهو لازم لهم لأن القرآن لو كان من عند مخلوق أو هو كلام مخلوق لم يكن معجزاً ، وإنما يستقيم القرآن أن يكون معجزاً إذا قيل إنه كلام الله حقيقة وهو كلام إلهي غير مخلوق فالآيات الكثيرة تدل على أنه كلام إلهي غير مخلوق معجز بلفظه ومعناه ومن كل الوجوه كما يقرر ذلك شيخ الإسلام حيث يقول : "وكون القرآن معجزة ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط ، أو نظمه وأسلوبه فقط ، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط ، ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط ، ولا من جهة سلب قدرتهم عن معارضته فقط ، بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة ، من جهة اللفظ ، ومن جهة النظم ، ومن جهة البلاغة ، وفي دلالة اللفظ على المعنى ، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته وغير ذلك ، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي ، وعن الغيب المستقبل ، ومن جهة ما أخبر به عن المعاد ، ومن جهة ما بين فيه من الدلائل اليقينية ، والأقيسة العقلية ، التي هي الأمثال المضروبة كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَيُّ أَكْثَرِ النَّاسِ إِلَّا كَشْفُورًا ﴾ [الإسراء: ٨٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٤] ... "أه" (٩٣). وقد أشار السلف إلى الاحتجاج على من نفى صفة الكلام وزعم أن القرآن مخلوق بآيات التحدي والتي تثبت

الإعجاز للقرآن وأنه كلام إلهي وليس بكلام بشر ، ومن ذلك الاحتجاج بقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِّينِ أَجْمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨] ، قال الإمام الدارمي معلقاً على هذه الآية : "ففي هذا بيان أن القرآن خرج من الخالق لا من المخلوقين ، وأنه كلام الخالق لا كلام المخلوقين ، ولو كان كلام المخلوقين منهم لقدر المخلوق الآخر أن يأتي بمثله أو بأحسن منه "أه" (٩٤) ، وممن أورد هذا اللازم والمأل على مذهب الأشاعرة في القرآن : الإمام العمراني حيث قال : "وأما الدليل على أن هذا المتلو يسمى قرآناً فقوله تعالى ﴿ قُلْ لِّينِ أَجْمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ [الإسراء: ٨٨] ، فالذي تحدى الله العرب أن يأتوا بمثله وجعله معجزة لنبيه صلى الله عليه وسلم وأخبرهم أنهم لا يأتون بمثله هو هذا القرآن والسور والآيات ، فأما ما في نفس الباري من الكلام فلا سبيل للعرب ، ولا لأحد من الخلق إلى سماعه ، ولا إلى معارضته .. "أه" (٩٥) ولهذا لجأ بعض أئمة المعتزلة (٩٦) إلى اختراع نظرية وبدعة جديدة ، وهي ما تسمى بـ "الصرفة" أي : أن الله صرف كفار قريش والعرب عن تحدي القرآن وإلا فإنه يمكنهم الإتيان بمثله لأنه يعتقد أنه مخلوق (٩٧) . كل هذا حتى لا يتناقض مع قولهم بخلق القرآن ، وعده العلماء من أضعف الأقوال (٩٨) لكثرة ما يرد عليه ، ولا تعجب فسوف يأتي الحديث عن أثر القول بخلق القرآن على بعض المعاصرين (٩٩) ، وكيف تبناوا هذا الرأي وهو الصرفة رغم ضعفه وتناقضه ومعارضته لصريح أي القرآن .

البشر ، ويقدرهم الله عليه ، ولكن لم يكن هذا ولا يكون ، فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه ، وقال به جماعة من أصحابه "أهـ" ^(١٠٤) ، وقال الشهاب الخفاجي : "نقل عن الأشعري إلا أنه لم يشتهر عنه "أهـ" ^(١٠٥)

والأشاعرة وقعوا في التناقض الشديد فهم يتكلمون عن الإعجاز وأنه يشمل بديع نظمهم وعجيب تأليفه ، ومع هذا تجد التناقض؛ بأن الذي بين أيدينا غير معجز ، ومن أشهر من تكلم في إعجاز القرآن من الأشاعرة الإمام الباقلاني ومع هذا يقول بعد أن ساق أوجه

الإعجاز المختلفة : "فإن قيل : فهل تزعمون أنه معجز : لأنه حكاية لكلام القديم سبحانه ، أو لأنه عبارة عنه ، أو لأنه قديم في نفسه ؟ ، قيل : لسنا نقول بأن الحروف قديمة ، فكيف يصح التركيب على الفاسد ، ولا نقول أيضاً إن وجه الإعجاز في نظم القرآن أنه حكاية عن الكلام القديم ، لأنه لو كان كذلك لكانت التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله عز وجل معجزات في النظم والتأليف ، وقد بينا إعجازها في غير ذلك ، وكذلك كان يجب أن تكون كل كلمة مفردة معجزة بنفسها ومفردة وقد ثبت خلاف ذلك "أهـ" ^(١٠٦)

ويقول شيخ الإسلام -مخالفاً رأي الباقلاني- : "وما في التوراة والإنجيل ، لو قدر أنه مثل القرآن ، لا يقدح في المقصود فإن تلك كتب الله -أيضاً- ولا يمتنع أن يأتي نبي بنظير آية نبي ، كما أتى المسيح بإحياء الموتى ، وقد وقع إحياء الموتى على يد غيره ، فكيف وليس ما في التوراة والإنجيل مماثلاً لمعاني القرآن لا في الحقيقة ولا في الكيفية ولا في الكمية ، بل يظهر التفاوت لكل من تدبر القرآن وتدبر الكتب "أهـ" ^(١٠٧)

بل وصل الحال ببعضهم أن قال : "إن الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة ونظماً وبلاغة ، وبما هو أفصح منه" ^(١٠٠) ، وكان من مآل القول بخلق القرآن والصرفه هو عدم العناية ببلاغة القرآن وإعجازه لاعتقادهم بأنه مخلوق ، يقول الأديب الرافعي : "على أن القول بالصرفه هو المذهب الفاشي من لدن من قال به النظام ، يصوبه فيه قوم ، ويشايعه عليه آخرون ، ولولا احتجاج هذا البليغ لصحته ، وقيامه عليه ، وتقلده أمره ، لكان لنا اليوم كتب ممتعة في بلاغة القرآن وأسلوبه وإعجازه اللغوي وما إلى ذلك ، ولكن القوم -عفا الله عنهم -أخرجوا أنفسهم من هذا كله ، وكفوها مؤنته بكلمة واحدة تعلقوا عليها ، فكانوا فيها جميعاً كقول هذا الشاعر الطريف الذي يقول :

كأننا والماء من حولنا قوم جلوس حولهم ماء "أهـ" ^(١٠١)

والأمر لم يقتصر على المعتزلة بل تعدى ذلك إلى الأشاعرة حيث يقول أئمتهم بأن القرآن الذي بين أيدينا ليس معجزة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بل ينقلون إجماعهم على ذلك واتفاقهم مع المعتزلة ، يقول الآمدي : "وأما ما قيل من أن القرآن معجزة الرسول فيمتنع أن يكون قديماً ، فتهويل لا حاصل له ، فإننا مجمعون على أن القرآن ليس بمعجزة الرسول "أهـ" ^(١٠٢) .

بل إن جمعاً من أئمة الأشاعرة ومتكلميهم يكاد أن يكون كلامهم متطابقاً مع من قال بالصرفه من أئمة الاعتزال . ^(١٠٣)

بل نقل هذا القول عن أبي الحسن الأشعري ، قال القاضي عياض : "وذهب الشيخ أبو الحسن إلى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور

مآلات القول بخلق القرآن في الفكر المعاصر

٢ فصل :

٢

تمهيد :

ظهر أثر القول بخلق القرآن جلياً في كتابات بعض المفكرين والأدباء والفلاسفة المعاصرين ، وخاصة الذين يدعون إلى العلمانية ونبذ الدين ، وكان هذا الرأي الفاسد بغيتهم التي مهدت لهم في طروحاتهم في نقد القرآن والطعن فيه ، واستفادوا من طعونات المستشرقين^(١٠٨) ومن انحرافات القائلين بخلق القرآن سواء المعتزلة أو الأشاعرة القائلين بالكلام النفسي.

ولكن قبل أن نبدأ في سرد مآلات القول بخلق القرآن الخطيرة على أصل الإسلام ومصدر التشريع وهو القرآن الكريم لابد أن ننبه إلى أمور عدة :

١- أن الطوائف المنحرفة القديمة كالمرتزلة والأشاعرة ومن وافقهم في رأيهم في القرآن الكريم كانوا معظمين للشرعة وللدن وللقرآن ، ولم يكونوا يبوحدون بهذا الكفر الصراح ، والزندقة المكشوفة ؛ التي تبين مدى حقد وعداء بعض المتأخرين على الإسلام وأصوله الكبرى.

٢- أن هؤلاء المنحرفين من المفكرين أناس غير موضوعيين ولا يريدون الوصول إلى الحقيقة؛ فهم ينتقون من تراث الأمة ما يوافق أهواءهم وضلالاتهم ، وما يكون سبباً في القدح والتشكيك في الدين الإسلامي

ومصادر تشريعاته، فلا نراهم بمجدون إلا هذه الطوائف الغالية في البدع والتي تناقض أصل الإسلام ولا تمثل الإسلام الصحيح الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وكان عليه صحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين.^(١٠٩)

٣- أن هؤلاء المتأخرين لا يناقشون القضايا التي يتبنونها ، أو ينظرون في أدلة المعارضين؛ بل ينقلونها ويشيدون بها دون ذكر الأدلة على ذلك، أو ذكر اعتراضات علماء أهل السنة عليها حتى يردوا عليها؛ بل ولا حتى الاستدلالات العقلية التي تبرر تبنيهم لهذه الآراء ، ولكن إتباع الهوى والعداء لهذا الدين أعمى أبصارهم فلا يشعرون بضعف كتاباتهم وتهافتها.

٤- أن هدف هؤلاء من تبنيهم الآراء والاعتقادات المنحرفة لدى بعض الطوائف المنتسبة للإسلام هو ترسيخ ما يسعون إليه من نشر العلمانية كفكر وثقافة حتى يتقبلها المجتمع بغطاء إسلامي كما يزعمون ، وفي هذا الصدد يقول **نصر أبو زيد** : "ولست العلمانية في جوهرها سوى التأويل الحقيقي والفهم العلمي للدين ، وليست ما يروج له المبطلون من أنها الإلحاد الذي يفصل الدين عن المجتمع والحياة" أه^(١١٠).

٥- صرح هؤلاء في أكثر من موضع من

نصر حامد أبو زيد

- أن القرآن منتج ثقافي يستمد من البيئة العربية
- استلقت منه الفلسفة والفن وأبجدية الحرف
- إن القرآن صناعة إنسان لكل زمان ومكان
- هذا الإسلام ديناً عربياً وليس تعاليمية والشبهوية
- التسوية بين البشر من العنصرية لله
- نصر أن يكون القرآن في علم لغة الآري
- ومما مكنته تلك التماثل مع وثقافة (ماركس) أدري
- سمعت أن أن الدراسات والطلقات مجرد (أبيولوجيا)
- يمكن أفكار (أدلة التطلعات الحقة)
- واستخلص بثلاثة ثلث (الآلة على ما سبق

الأول قوله: (إن القرآن منذ أن نزل على محمد النبي
وحتى اليوم يتصلنا من الوجوه الإلهي والثلاثي قوله
(لم يوح القرآن من عبادة العو والآيات) الثالث قوله
(إن القرآن) الأهمية المربطة بوجوه أولى قديم
للحق القرآن في النوع المحفوظ بثقافة العربية ما (البر
تسويات ثمة في الثقافة)

فقد علم (أبو زيد) أن القرآن لم يعرف كونه
الطرح صفة أبو زيد (العلماء المعلقة في حقيقة
العلماء الذين في النص ثمة مرة -

كاتب ماركسي مصري، وأستاذ علوم اللغة
في الجامعات المصرية. وقد أحدثت ثقافته التي مزجت
البناء بجامعة القاهرة ولعلم المنطقة لها، صمما المبدأ
المنهجية فيه إلى جهة العلوم الدينية في الغرب، فوطني
الحاكم برئاسة التفكير عند الأصول، فلهذا وقد انتهت
أدبه بالتحليل والاستنتاج بالعمليات الإسلامية
حتى تحدا على القرآن التفكير في كتابه "مفهوم النص
- دراسة علوم القرآن" كما روج القرآن في عادي الإسلام
في بيئة كثرية، وبأسره كافة أمداء الإسلام في مصر من
مطحنين وشيوخين وأهل البيت، ومنه ارتدوا التوسر
المنوع زين العابدين بن علي وسفاهة طمعا، ولقد أصدرت
مجلة "أب وبقدر" الماركسية الشيوعية صمما نظاما على
بشامتا معه وذلك في أيلول عام 1991، وقد حكمت
عليه محكمة الاستئناف المصرية بالقتل (الزور) لأنه
في القرآن وفقت بالتدقيق بينه وبين روحه شرارة مصر
وهاجر إلى هولندا، وبعد من أبرز الداعمين لإمارة البحرين
بمفهوم ووظيفة القرآن الكريم، وكل إطلاقه في كنه
توحي بالارتجالية والاستلاب، وإن كان كنهه في كلمات
معرفة أو مهارات ذاتية قبله وطلما للقرآن وصف
الوحي والبيانات، والعلماء الذين عتدوا أن ما صدر
إلى نتائج في غاية الخطورة كغصبا على الحق

ببشرية النصوص الدينية ، فإن هذا الشيء
لا يقوم على أساس أيولوجي يواجه الفكر
الديني السائد والمسيطر ، بل يقوم على
أساس موضوعي يستند إلى حقائق التاريخ
وإلى حقائق النصوص ذاتها ، وفي مثل هذا
الطرح يكون الاستناد إلى الموقف الاعتزالي
التراثي وما يطرحه من حدوث النص وخلقه ،
ليس استناداً تأسيسياً بمعنى أن الموقف
الاعتزالي - رغم أهميته التاريخية - يظل
موقفاً تراثياً لا يؤسس وحده وعينا العلمي

كتاباتهم التي سطورها وبكل جرأة بأنهم
استفادوا وبنوا نظرياتهم في القدر في القرآن
والشريعة على رأي المعتزلة في القرآن وأنه
مخلوق وليس كلام الله حقيقة ، منهم من كان
صريحاً وأشاد بالقول بخلق القرآن وبالمعتزلة
، ومنهم من كان غير صريح لكنه يشن
هجوماً على اعتقاد السلف ولما يأتي مذهب
المعتزلة والمذاهب الباطنية المنحرفة يعرضها
على أنها من التراث دون استنكار لما تحويه
من باطل^(١١١) . وممن كان صريحاً د. نصر
أبو زيد حيث قال : " وإذا كنا هنا نتبنى القول

من أجل (مفكر فيه) متجدد باستمرار ، كان قد أغلق واختزل إلى ما ندعوه بـ (المستحيل التفكير فيه) . وهذا ما حصل بالضبط مع المناقشة التي فتحها مفكرو المعتزلة "أ.هـ"^(١١٤) ، فأركون يصرح بأن الذي فتح لهم الطريق ومهد لهم هو رأي المعتزلة في القرآن؛ حتى يقدحوا في القرآن بعد نزع القداسة عنه.

بل يرى أركون إن المسلمين لن يخرجوا من تخلفهم ولن يتقدموا إلا إذا تبنا آراء المعتزلة.^(١١٥) بل إن رؤوس المنظرين للحدأة كأدونيس وغيره نراهم يمجدون المعتزلة وخاصة قولهم بخلق القرآن.^(١١٦)

٦- أن التيار العلماني استفاد من عقيدة الأشاعرة والمعتزلة في القرآن ، أما المعتزلة فقد تقدم ما يكفي أما الأشاعرة الذين يقررون أن المعنى من الله واللفظ من محمد أو جبريل ، فقد بنى عليه العلمانيون كثيراً من زندقته وطعنهم في الوحي ، وهو أمر أخذوه وتابعوا فيه المستشرقين^(١١٧)

القول بوجوب نقد القرآن

وأنة كغيره من النصوص

إن من يتأمل كتاباتهم ليتعجب كيف ينتسبون للإسلام أو يمكن أن يعدوا مؤمنين بهذه الشريعة وبهذا القرآن ، فكتاباتهم واضحة وصريحة في القدح في القرآن وأنه ليس كلام رب العالمين .

بطبيعة النصوص، الموقف الاعتزالي شاهد تاريخي دال على بواكير وإرهاصات ذات مغزى تقدمي علمي، والمغزى لا الشاهد التاريخي هو الذي يهمننا لتأسيس الوعي بطبيعة النصوص الدينية "أ.هـ"^(١١٢)، فنصر أبو زيد من خلال هذا النص وغيره من النصوص التي يكررها يؤكد ما يلي :

١- بشرية النصوص .

٢- يستند في طروحاته هو وغيره من العلمانيين على رأي المعتزلة القائل بخلق القرآن .

٣- أنهم لم يقفوا عند هذه البدعة وإنما استفادوا منها ليمروا زندقته المكشوفة وإلا فرأيهم وحده لا يشفي عليهم ولا يروي غليلهم .

ونرى أن أركون كان أكثر صراحة في تبني رأي المعتزلة والقدح في السلف الصالح وموقفهم من القرآن الكريم فيقول مبيناً السبب بكل وضوح : "من أجل أن نفتح ثغرة في الجدار المسدود للتاريخ...نعني بكل بساطة أن القرآن بحاجة إلى وساطة بشرية ، أن نقول بأن القرآن مخلوق فهذا يعني أنه متجسد في لغة بشرية هي هنا اللغة العربية "أ.هـ"^(١١٣) ، ويضم أركون قول أهل السنة بالقول المتشدد وهو القول بأن القرآن كلام الله وصفة من صفاته وأنه غير مخلوق فيقول : "إن الموقف الأصولي المتشدد في الأديان يحيلنا إلى ذلك الخيار الفلسفي المتعلق بمنشأ المعنى من خلال التفاعل بين اللغة والفكر . فالفضاء الواسع والغني الذي فتح من قبل كلام الله الوحي

محمد أركون

بتوسعات أخرى في المستقبل" (الفكر الأصولي: ٢٥)

درس أركون في السربون منذ ١٩٦١م ، ويقول عن نفسه أنه
مخاطر في نقد العقل الإسلامي منذ أكثر من عشرين عاما (أين
هو الفكر الإسلامي ص ٥٩) ولكن لم يفعل حتى موته حتى في
عملية التفكيك ، ولم نشاهد منه على كثرة كتبه وثرائه تركيبة
ينم عن ملامح دينه الجديد ولو في مسألة واحدة . ففكره يمثل
أش...

يقول ¹ " كنت أبحث لك أن ألتصق على طريق عقول
التي أخرجها الإسلام - الله - هذا الإسلام الذي
أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم في الأوامر والنهي
التي أخرجها من رجليه صلى الله عليه وسلم في ذلك السجل الذي
لا يستطيع أن يغيره إلا الله (صلى الله عليه وسلم) في حرمته
وعددهم في الدنيا (الإسلام) أريد أن أكون (أ)"

وهنا ينشأ سؤال ساذج وهو ما هو النموذج الفكري الذي أقامه أركون معيارا جعله يهق نفسه في مصادمة بناء الإسلام مقرا خطأ واختلاله ابتداء ؟ بمعنى هل هو منطلق من نموذج معياري واضح على الأقل في ذهنه في استعلاء الدين يحاكم الإسلام إليه ، أم أنها شرثرة عن غير قانون ؟

بعبارة أخرى : هل العمل الذي يريد أركون أن تقوم به الأجيال المقبلة في صياغة البديل يمكن أن يقوم على غير نهج وبرنامح فكري معين ؟ بمعنى إذا قلت لشخص عليك بالحنفشار من غير أن يكون له نموذج ذهني لما تنفذه كلمة حنفشار وتصور عن شكله وعمله ؟ هل يتبادر لذهنه شيء فضلا على أن يبادر إلى العمل الذي يوجهه أو يوجه إليه الطالب... وإذا قلنا إن ذلك ممكنا في عالم السفسطة فكيف تصارع الأجيال المقبلة أو يسوغ لها أركون حتى دخول الحلبة للمصارعة وهي لا تفهم أصلا القانون الذي يحكم الحلبة ملاوة على تعيب قانون الوعي بالذات : من أنا ؟ ماذا أريد ؟

هلك الرجل في سبتمبر ٢٠١٠م ولكن ما يزال فكره موجودا، ولا يفكره رواج عند كثير من العقول المغترية عن دينها.

شخصية ذات شهرة واسعة في الوسط العلمي المعاصر ، ويمثل أوضح صورة لتغيب الهوية واستعداد الذات عن التأثر الكبير بالفلسفة الغربية في موقفه من الإسلام ، حيث أخذ حصيلة الفكر الغربي المعادي للأديان ثم أنزله على الإسلام ، فهو يلخص مشروعه فيقول : " المهمة العاجلة تتمثل في ما يلي : إعادة قراءة التراث

الإسلامي على ضوء أحدث المناهج اللغوية ، والتاريخية
والسوسولوجية ، والأنثروبولوجية أي المقارنة مع التراثات
الدينية ، وبخاصة ما حصل في الغرب المسيحي ، ثم القيام
بعدئذ بتقييم فلسفي شامل لهذا التراث لطرح ما أصبح ميتا
فيه ومعرفلا لحركة التطور ، والإبقاء على العناصر
من أجل استخدامها في الشأن المعاصر " (خلف ، ١٩٩١)

[illegible]

عقائدنا يكون " ما يوجد فعلا هو الإسلام " (ال
فكر الإسلامي في العالم الإسلامي) فليخلص الفكر الإسلامي
من هذه الخطيئة وهذا هو الهدف من هذا الكتاب. فليخلص
الفكر الإسلامي من هذا الخطيئة. فليخلص الفكر الإسلامي
من هذا الخطيئة. فليخلص الفكر الإسلامي من هذا الخطيئة.

ففي معالجة تتعامل مع نصوص الوحي على أن الأديان صناعة أرضية من إنتاج البشر ، كما صرح بها أركون (الإسلام أصالة وممارسة : ١٩) ، لذا هو يستبدل مصطلح الوحي بلفظ " المتخيل الديني " أو " المخيال الديني " ، وهو معنى لغوي لقيط من لفظ الخيال ويعنى به المكان المشترك للخيال في العقل الجماعي ، وهو هنا لا يعني به فقط الأديان الوضعية كما يمكن أن توهم العبارة ، بل يشمل الديانات السماوية يقول " لا ينبغي علينا أن نترق بين الأديان الوثنية وأديان الوحي ، فهذا التفریق أو التمييز هو عبارة عن مقولة تيولوجية تحسنية .. " (العلمنة والدين : ٢٢).

ويقول : " القرآن ليس إلّاً نصّاً من جملة نصوص أخرى تحتوي على نفس مستوى التشديد والمعاني الفوارة الغزيرة: كالتوراة والأنجيل، والنصوص المؤسسة للبوذية أو الهندوسية. وكل نص تأسيسي من هذه النصوص الكبرى حظى بتوسعات تاريخية معينة وقد حظى

من قدر القرآن الكريم ومصادر التشريعة ، ومن هؤلاء المفكر المغربي د. محمد عابد الجابري حيث يقول : " لا الوضعية الثقافية والبنية الفكرية العامة المهنية ، ولا درجة النضوج لدى المثقفين أنفسهم يسمح بهذا النوع من الممارسة الفولتيرية للنقد اللاهوتي ، ولا السياسة تسمح ، وبطبيعة الحال فالإنسان يجب أن يعيش داخل واقعه لا خارجه حتى يستطيع تغييره " ، ثم يفصح الجابري عن خطته المغايرة لأركون وأبو زيد فيقول : " هناك من يرى أن من الواجب مهاجمة اللاعقلانية ^(١٢٠) في عقر دارها وهذا خطأ في رأيي ، لأن مهاجمة الفكر اللاعقلاني في مسلماته في فروضه في عقر داره يسفر في غالب الأحيان عن إيقاظ، تنبيه ، رد فعل ، وبالتالي تعميم الحوار بين العقل واللاعقل ، والسيادة في النهاية ستكون خاضعة حتماً للاعقل ؛ لأن الأرضية أرضيته والميدان ميدانه ، والمسألة مسألة تخطيط " ^(١٢١) ، فالمسألة كيد ومكر وتخطيط لتجاوز المسلمات والأصول التي تبني عليها عقيدة المسلمين فالهدف واحد والطرق مختلفة والله المستعان .

ثم يستمر مبينا خطة الهجوم على أصول الإسلام الكبرى كالقرآن والسنة فيقترح أن يستفاد من انحرافات الطوائف التي خالفت أهل الإسلام كطوائف المتكلمين والفلاسفة فيقول : " يجب علينا أن ننقد مفاهيمنا الموروثة - يمكن أن نمارس النقد اللاهوتي

يقول محمد أركون : " نحن نريد القرآن المتوسل إليه من كل جهة والمقروء والمشروح من قبل الفاعلين الاجتماعيين (المسلمين مهما يكن مستواهم الثقافي وكفاءتهم العقائدية ، أن يصبح موضوعاً للتساؤلات النقدية المتعلقة بمكانته اللغوية ، التاريخية... ، ونطمح من جراء ذلك إلى إحداث نهضة ثقافية عقلية ، وحتى إلى ثورة تصاحب الخطابات النضالية العديدة من أجل أن تفسر منشأها ووظائفها ودلالاتها ومن ثم من أجل السيطرة عليها " أ.هـ ^(١١٨) ، ويزيد الأمر وضوحاً فيقول : " إن مجموع هذه النصوص يتطلب معاملة مزدوجة : فأولاً ينبغي القيام بنقد تاريخي لتحديد أنواع الخلط والحذف والإضافة والمغالطات التاريخية التي أحدثتها الروايات القرآنية بالقياس إلى معطيات التاريخ الواقعي المحسوس ، وثانياً : ينبغي القيام بتحليل التبيين كيف أن القرآن ينجز أو يبلور (بنفس طريقة الفكر الأسطوري الذي يشتمل على أساطير قديمة متبعثرة) شكلاً ومعنى جديداً " أ.هـ ^(١١٩) .

وهؤلاء كانوا على مستوى من الصراحة والوقاحة في نقد كتاب الله جل وعلا ، ولكن بعضهم يصرح بموافقتهم إلا أنه يرى أن الوقت غير مناسب ولكن له وجهة نظر أخرى أن يكون النقد من داخل التراث ، وهو يعنى إحياء الانحرافات القديمة للطوائف المنتسبة للإسلام ونسبتها إليهم حتى يخرج من التبعة ويحقق ما يريد من التشكيك والحث

ويقول أيضاً: "لم يكن القرآن في صياغته للواقع الثقافى بمعزل عن هذه التصورات فقد ذكر الجن في مواضع كثيرة وخصص سورة كاملة تنبئ عن تحول في طبيعة الجن وإيمانهم بالإسلام والقرآن بعد أن استمعوا له . والسورة من ناحية أخرى تؤكد ما كان مستقرا في العقل العربي من اتصال الجن بالسماء ومن إمكانية اتصال بعض البشر بالجن" ^(١٢٤). فهذا الكلام فيه تصريح ببشرية القرآن وأنه يمكن أن يكون تلقاه من الجن ونحوهم ولا شك أنهم مهدوا لمثل هذه الزندقة بنزع القداسة والصفة الإلهية عن القرآن ومن ثم بنوا عليها مثل هذه الآراء. وهذا التقرير الذي يقررونه هو تكرار باللفظ والمعنى لما يردده المستشرقون الذين يشككون في الوحي .

ويكون نصر أبو زيد أكثر صراحة حيث يقول: "إن القول بإلهية النصوص والإصرار على طبيعتها الإلهية تلك يستلزم أن البشر عاجزون بمناهجهم عن فهمها مالم تتدخل العناية الإلهية ، بوهب بعض البشر طاقات خاصة تمكنهم من الفهم وهكذا تتحول النصوص الدينية إلى نصوص مستغلقة على فهم الإنسان - العادي - مقصد الوحي وغايته وتصبح شفرة إلهية لا تحلها إلا قوة إلهية خاصة وهكذا يبدو الله وكأنه يكلم نفسه ويناجي ذاته وتنفي عن النصوص الدينية صفات الرسالة، البلاغ، الهداية" ^(١٢٥)، ويقول أيضاً "الواقع إذن هو الأصل ولا سبيل إلى إهداره ، ومن الواقع تكوّن النص ، ومن لغته وثقافته صيغت مفاهيمه ، ومن خلال حركته

من خلال القدماء - يعني نستطيع بشكل أو بآخر استغلال الحوار الذي دار في تاريخنا الثقافى ما بين المتكلمين بعضهم مع بعض ونوظف هذا الحوار ، لنا حرمان يجب أن نحترمها حتى تتطور الأمور ، المسألة مسألة تطور" أهـ ^(١٢٦) . فالمسألة عند الجابري مسألة وقت وتتطور وإلا فإن الحرمان هذه التي يتحدث عنها لا قيمة لها عنده ، وإلا لو كانت لها قيمة لما تغيرت الحرمان مع تقدم الوقت ومع التطور كما يزعم .

المال الثاني

أن البيئة هي التي أشرت في خطاب القرآن وهذا فيه إشارة إلى أنه ليس بوحي من عند الله :

يقول نصر أبو زيد : "لقد كان ارتباط ظاهرتي " الشعر والكهانة " بالجن في العقل العربي ، وما ارتبط بهما من اعتقاد العربي بإمكانية الاتصال بين البشر والجن هو الأساس الثقافى لظاهرة الوحي الديني ذاتها . ولو تصورنا خلو الثقافة العربية قبل الإسلام من هذه التصورات لكان استيعاب ظاهرة الوحي أمراً مستحيلاً من الواجهة الثقافية ، فكيف كان يمكن للعربي أن يتقبل فكرة نزول ملك من السماء على بشر مثله ما لم يكن لهذا التصور جذور في تكوينه العقلي والفكري. وهذا كله يؤكد أن ظاهرة الوحي القرآن لم تكن ظاهرة مفارقة للواقع أو تمثل وثباً عليه وتجاوزاً لقوانينه ، بل كانت جزءاً من مفاهيم الثقافة ونابعة من مواضعاتها وتصوراتها" أهـ ^(١٢٧)

بحدوثة ، كان من شأنه أن يؤدي إلى الفصل والتمييز بين الكلام الإلهي والكلام البشري ، لكن تصورهم للكلام ذاته جعل التمييز بين الكلامين من جهة المتكلمين لا من جهة الكلام ذاته ، ولذلك كان من الضروري أن تنتقل قضية الإعجاز من مجال العدل - مجال الأفعال - إلى مجال التوحيد ، ومفارقة الصفات الإلهية لصفات البشر من كل جانب . وإذا كانت قدرة الله تعالى لا تغالبها قدرة البشر ولا تستطيع الوقوف إزاءها ، فإن " العجز " الذي يشير إليه النص في تحديه للعرب أن يأتوا بمثله كان عجزاً ناتجاً عن تدخل القدرة الإلهية لمنع العرب من قبول التحدي ومن محاولته . وليس في هذا الرأي إنكار للإعجاز ، بل هو تفسير له خارج إطار علاقة النص بغيره من النصوص الأخرى .

إنه " العجز " البشري الذي سببته قدرة الله وليس " الإعجاز " أو التفوق القائم في بنية النص من حيث مقارنته بالنصوص الأخرى " أ.هـ. (١٢٨) ، ومن هنا يتبين لنا لماذا حرص أبو زيد على تبني كلام النظام ليقرر بأنه لا فرق بين النص القرآني وبين أي نص ، وأن الله هو الذي تدخل لمنع العرب أن يأتوا بمثله؛ فتكون النتيجة أنه يجوز لنا أن نتدخل لنقد القرآن لإمكان الناس أن يأتوا بمثله ، وأنه ليس هنا تفوق للنص القرآني على غيره من النصوص لكونه نصاً بشرياً لا إلهياً .

ويقول أيضاً: " لقد حاول المعتزلة جاهدين ربط النص بالفهم الإنساني وتقريب الوحي من قدرة الإنسان على الشرح والتحليل . ويبدو أن فكرة " الإعجاز " بما تتضمنه من

بفاعلية البشر تتجدد دلالاته ، فالواقع أولاً ، والواقع ثانياً ، والواقع أخيراً " أ.هـ. (١٣٦) ويقول كلاماً خطيراً مصرحاً ببشرية القرآن: " ففي مرحلة تشكيل النص في الثقافة تكون الثقافة فاعلاً والنص منفعلاً " أ.هـ. (١٣٧) ، ففي هذا النقل يتبين أن النص القرآني بزعمهم نتاج الثقافة التي عاش فيها النبي صلى الله عليه وسلم بمعنى أنه من عنده وليس من عند الله فالثقافة هي الفاعلة وهي المنتجة للنص والنص منفعل مخلوق محدث ومن نتاج هذه الثقافة .

المال الثالث

نفي الإعجاز عن القرآن الكريم

وهذه نتيجة طبيعية لتبنيهم القول ببشرية القرآن وأنه ليس وحياً إلهياً من عند الله ، وبعضهم حاول أن يبحث في التراث ويعمل بنصيحة الدكتور الجابري بأن نتقي من داخل التراث ما يفيدنا في نقد التراث؛ ففكر وقدر فوجد بغيته في تبني قول النظام بالصرفة ونفي الإعجاز كما فعل الدكتور نصر أبو زيد حيث يقول: " إذا توقفنا قليلاً عند مفهوم " الصرفة " ، وهو المصطلح الذي شاع بعد ذلك وصفا لتفسير النظام ، قلنا إن النظام يجعل المعجزة أمراً واقعاً خارج النص ، ويرتبط بصفة من صفات قائل النص وهو الله . وانطلاقاً من مبدأ التوحيد الذي حرص المعتزلة على تأكيده حرصاً شديداً يمكن أن نقول أن تصور النظام والمعتزلة للنص بأنه كلام ، وبأنه فعل من أفعال الله التي ترتبط بوجود العالم ، وما ترتب على ذلك من قولهم

نصر أبوزيد أكثر صراحة حيث يقول : "إذا كان مبدأ تحكيم النصوص يؤدي إلى القضاء على استقلال العقل وتحويله إلى تابع يقات بالنصوص ويلوذ بها ويحتمي ، فإن هذا ما حدث في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية" أهـ^(١٢٤)، فنصر أبو زيد يرى أن العقل لابد أن يتمرد على شريعة رب العالمين وأنه إذا جعل مرجعيته إلى النص القرآني فإنه يفقد استقلاله وفاعليته.

ويؤكد هذا المبدأ د. حسن حنفي حيث يقول : "مهمة التراث والتجديد التحرر من السلطة بكل أنواعها ، سلطة الماضي وسلطة الموروث ، فلا سلطان إلا للعقل ، ولا سلطة إلا لضرورة الواقع" أهـ^(١٢٥).

ويعبر حنفي بشكل أكثر جرأة فيقول : "الألفاظ الشرعية عاجزة عن أداء مهمتها في التعبير عن المضامين المتجددة ؛ لذا يجب التخلص منها" أهـ^(١٢٦).

وهذا الهدف هو الذي يريده التيار العلماني التخلص من مرجعية النصوص الشرعية والتي كانت عائقاً أمام مشروعهم التغريبي الذي يحاولون من خلاله مسح الهوية الإسلامية في المجتمعات الإسلامية .

المال الخامس

تجوير وقوع التحريف والزيادة والنقصان في القرآن.

وهذا لأنه كلام بشر فلا مانع عقلاً من دخول التحريف والزيادة والنقصان عليه . وكذلك أسسوا قاعدة فاسدة وهي : أن القرآن

معنى المعجزة الذي اشرنا إليه فيما سبق كان يمكن لو سلموا بوجودها في بناء النص اللغوي أن تؤدي إلى مفارقة الوحي - من حيث هو نص لغوي - لقدرة الإنسان ، وتؤدي من ثم إلى تحويل الوحي إلى نص "مفلق" مستعص على الفهم والتحليل . لقد كان التسليم بقدره الإنسان على الفعل وعلى فهم الوحي معاً هو الدافع وراء محاولة تفسير " الإعجاز " من خلال مفهوم " التوحيد " ومن خلال صفتي " القدرة " و " العلم " بصفة خاصة . إن "عجز" البشر عن الإتيان بمثل الوحي نابع من تدخل إلهي سلبهم القدرة ، ونابع من "علم" بالماضي والمستقبل لا يتاح للإنسان. أهـ^(١٢٩).

ويقرر أبو زيد وغيره بأن هناك شبهة بين النص القرآني والشعر الجاهلي وأنه تشكل بناء على الثقافة المعاصرة للنبي صلى الله عليه وسلم .^(١٣٠)

وبنى هؤلاء بعد نفي الإعجاز أن يكون الإعجاز يشمل آيات الأحكام وأنها ليست من القرآن المعجز المنزل من عند الله .^(١٣١)

المال الرابع

إسقاط مرجعية النص القرآني :

يقول د. نصر أبو زيد : "أن أوان المراجعة والانتقال إلى مرحلة التحرر لا من سلطة النصوص وحدها ، بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان في عالمنا ، علينا أن نقوم بها الآن وفوراً قبل أن يجرفنا الطوفان" أهـ^(١٣٢)، ويقول أيضاً : "إن حل كل مشكلات الواقع إذا ظل معتمداً على مرجعية النصوص الإسلامية يؤدي إلى تعقيد المشاكل" أهـ^(١٣٣)، ونجد

حسن حلفي

والله اعلم بالصواب فانظر من الله في نظر التكاليف
التي هي في حوائج الشريعة على الرغم مما نحن فيه من
حالة الفساد التي قد يمكن إصلاحها بحرية الإنسان في
قانونه العام.

البلدان مشروخ حطفي على سبيلته إحداهما يشترط على الغير
والثاني من حصوله وأما الثالث فإنه يستلزم ومقتضى
إزاء البلاد القريبة التي هي الغاية المقصود في ذلك
يدخل على سبيلته التراتب والتجديد فلهذه التراتب والتجديد
هو المخرج من السبيل بين الأولوية سبيلته الخاصي وسبيلته
الذويده فلا سلطان إلا للعدل ولا سلطة إلا للضرورة والواقع
الذي تحت هذا المصروف وحاشا من العفو والرفق والتمليك
السلطة سواء كانت أوروبا أو آسيا المثلث.

لذلك، عليهم تربية القلب بعن حتم، على القواسم وال
التي بلغت إلى صرح الاتحاد بين الإيمان والعدل، الاتحاد هو
العمل من العمل إلى العمل، ومن العمل إلى العمل، ومن
العمل إلى العمل، إنه وفي هذا العمل... إلى هو العمل الأصغر
للإيمان.

ويشمل الحكم ليس لمصلحة المصلحة بعيدة مقصودا إلا من
أو مصلحة (أو ثقل) من هو كس ولا يثبت على تحصيل تصور
الإنسان من الكيفية في المصالحات التي هي من المصالحات.

بتصرف عن مقال إلكتروني بعنوان: **حسن حنفي والخداع**

حصل على الدكتوراه من العلوم عام ١٩٩١، عمل
أستاذًا لتدريس الفلسفة في جامعة القاهرة، شغل منصب
مستشار عام لجمعية الفلسفة المصرية، يقدم مساهمة على
أتم صلبها، مشروح الفكر الإنساني، ويؤرخ حقل حاضر
أن الفكر الإنساني هو التحدّي الذي للعركة الإسلامية وهو
التحدّي المعاصر والسبب الآخر لهذه الحركة الفكرية، وهذا
التحدّي (التصحيح بالحركة الإسلامية) عودها لبداية الأولى
في داخل أعتاب حملة الأحرار المسلمين لذا فهو يعتبر مساهمة
عديدة لتجربة معاصرة في الفكرية وأرضها في أوروبا من خلال
التأثير الفكري في حياتها، ومع ذلك، يمثل فلسفة حاضر
فئة المتأخرين مع هذه الفصول، فهو يرى أن الفلسفة أساس
الوعي، و... لا يوجد لدى في ذاته، بل يوجد في التجمعات
مقبلة تظهر في لحظة تاريخية معقدة ويمكن تلخيصها ملخصاً
سجلتها التاريخية قائمة.

فقدوة الإصلاح والتجديد على الأمة من التوراة والواقع وحده هو حسن معنى وطرح ما هو مطلوب... إن مهمة التوراة والتجديد إن هي إلا مثل الاستمالات التكميلية بل ويوسع احتمالات جديدة واختيار أسسها الحليمة الحسنة إذ لا يوجد صوت مطلق نظري الحكم عليها، بل لا يوجد إلا مقيد عملي، فلا خلاف في التسع الجهد لمطالب الحسنة في الاختيار المطلق، ولا ريب أن في الاختيار حكمة حائلة بل يصح أنها تمثل سمات متحدة لطروف آخرى ويصحب أخرى رتب أو مراتب فاعلم... ويتبين - سيما للناظر في

والأشاعة كما تقدم معنا فمن ذلك يقول طيب
تيزيني-مقرراً أن النص القرآني له قرأتان-
:"القراءة الأولى :ترفض كل ما من شأنه
المس بفكرة تمامية المتن القرآني حفاظاً على
الوحدة الإسلامية ، القراءة الثانية :أن المتن
المذكور تعرض-عفواً أوبنيّة سيئة -لتغيير
معين ، إما بسبب نزاعات سلطوية أخضعت
القرآن وظيفيا لاحتياجاتها -مثال عثمان
وابن مسعود-وإما لأن الكلام القرآني ليس
كلام الله -مثال المعتزلة والأشعرى" أهـ (١٣٨)

هو ما أخذ مشافهة وهذا لم يعد موجوداً، وأما ما كتب في المصاحف فإنه اجتهاد من الصحابة ودخله الزيادة والنقصان، والدكتور الجابري من هؤلاء -بعد أن ساق كلام الطوائف في التحريف وكلام الشيعة- ختمها بقوله: "ومع أن لنا رأياً خاصاً في معنى "الآية" في بعض هذه الآيات، فإن جملتها تؤكد حصول التغيير في القرآن وأن ذلك حدث بعلم الله ومشيئته" أهـ^(١٢٧)، وقد صرحوا بأنهم اعتمدوا على القول بخلق القرآن الذي تبنته المعتزلة

و بعضهم كان أكثر جرأة وصراحة وهو د. شحرور حيث يقول : "وعلينا أن نعلم أن هذه الآيات (أم الكتاب) قابلة للتزوير وقابلة للتقليد ، ولا يوجد فيها أي إعجاز ، بل صيغت قمة الصياغة الأدبية العربية "أهـ . (١٣٨)

المآل السادس

القول بتاريخية النص القرآني (١٤٠)

والمقصود بتاريخية النص القرآني : أن القرآن بما أنه نص بشري فهو جاء لمعالجة أحداث في زمان النزول للقرآن وصدوره من محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه لا يصلح لهذا الزمان ، ورتبوا عليه أشياء كثيرة وخطيرة .

وقد نص أركون على مراده ذلك بقوله "أريد لقراءتي هذه أن تطرح مشكلة لم تطرح عملياً قط بهذا الشكل من قبل الفكر الإسلامي ألا وهي : تاريخية القرآن ، وتاريخية ارتباطه بلحظه زمنية وتاريخية معينة "أهـ (١٤١) ، وهي من أكثر القضايا التي ردها التيار العلماني لتقرير تاريخية النص استناداً على قول المعتزلة بخلق القرآن وهي من أوضح وأجلى مآلات هذه البدعة الخطيرة في الفكر العربي المعاصر والتي كانت باباً ولج منه العلمانيون للطعن في الدين ومصادر تشريعاته .

ويقول أركون : "إن التاريخية ليست مجرد لعبة ابتكرها الغربيون من أجل الغربيين ، وإنما هي شيء يخص الشرط البشري منذ أن ظهر الجنس البشري على وجه الأرض . ولا توجد طريقة أخرى لتفسير أي نوع من أنواع ما ندعوه بالوحي أو أي مستوى من مستوياته خارج تاريخية انبثاقه ، وتطوره أو

ويقول نصر أبو زيد "أن مسألة خلق القرآن كما طرحها المعتزلة تعني بالتحليل الفلسفي أن الوحي واقعة تاريخية ترتبط أساساً بالبعد الإنساني ، من ثنائية الله والإنسان أو المطلق والمحدود ، الوحي في هذا الفهم تحقيق لمصالح

و يقول أركون : "إن التاريخية ليست مجرد لعبة ابتكرها الغربيون من أجل الغربيين ، وإنما هي شيء يخص الشرط البشري منذ أن ظهر الجنس البشري على وجه الأرض . ولا توجد طريقة أخرى لتفسير أي نوع من أنواع ما ندعوه بالوحي أو أي مستوى من مستوياته خارج تاريخية انبثاقه ، وتطوره أو

ويقول نصر أبو زيد "أن مسألة خلق القرآن كما طرحها المعتزلة تعني بالتحليل الفلسفي أن الوحي واقعة تاريخية ترتبط أساساً بالبعد الإنساني ، من ثنائية الله والإنسان أو المطلق والمحدود ، الوحي في هذا الفهم تحقيق لمصالح

والقول بتاريخية النص له آثار وخيمة ومآلات عظيمة يمكن تلخيصها في :

- ١- نفي حقيقة الوحي .
- ٢- جعل الوحي أسطورة من الأساطير .
- ٣- التحرر من سلطة الوحي وأحكامه .
- ٤- إلغاء أسبقية المعنى وهذا يعني القضاء على النص تماماً .
- ٥- أنه لا حقيقة ثابتة للنص ، بل إن كان فيه حقيقة فهي نسبية زمنية .
- ٦- نفي القداسة عن النص ، ونقله إلى حقل المناقشة والنقد الهادم .
- ٧- القول ببشرية النص، وأنه ليس من وحي الله تعالى ، فلا عصمة له .^(١٤٧)

نموه عبر التاريخ ، ثم المتغيرات التي تطرأ عليه تحت ضغط التاريخ ... ينبغي أن أكرر هنا مرة أخرى ما يلي : إن التاريخية أصبحت " اللامفكر فيه " الأعظم بالنسبة للفكر الإسلامي لسبب تاريخي واضح جداً يتمثل في رد الفعل السني الذي حصل على يد المتوكل عام ٨٤٨م ، أي قبل حوالي ألف ومائتي سنة . ثم تلاه ورسخه رد الفعل القادري ، وهو رد الفعل الذي أدى إلى تصفية الفلسفة التي تشتمل على علم الكلام المعتزلي وبخاصة ما يتعلق منه بالأطروحة القائلة بخلق القرآن . قد سارت على نهج المتوكل جميع الأنظمة السياسية التي تعاقبت على أرض الإسلام منذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا^(١٤٥) . وهذا الكلام مستقى أيضاً من المستشرقين^(١٤٦) .



وكالة الاستشراق الفكرية

أن يصلوا إلى مستوى زملائهم الغربيين أنفسهم من حيث السيطرة على المنهجية العلمية". ولذا نجد أن معهد الدراسات الإسلامية في مونتريال بكندا قد بدأ منذ أكثر من خمسين سنة يشجع الطلاب العرب والمسلمين على دراسة أوضاع بلادهم تحت إشراف أساتذتهم من المستشرقين. وقد كان المير الذي ذكره تقرير هايتر لذلك أن الطالب العربي المسلم يكون بعيدا عن بلاده ومشكلاتها ويستطيع بالتالي أن يبحث بحرية وتجرد أكثر مما لو كان في بلاده. ونحن نضيف سببا ريش آخر وهو أنه يسهل تمريره ما دام يحمل توقيع اسماء مسلمة. [مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية: هل انتهى الاستشراق حقا (٢٩٣/٤٢)]

الطلع هذا النوع من كتابات الجابري حيث يقول:

"مقدّم التحرير في قضايا ثقافية معينة بواسطة ثلاثة أخرى، ومع ذلك يبقى الفكر منتعيا إلى هذه دون تلك... ومثل ذلك المستشرقون فهم سيطرون "مستشرقين" بطيئون الشرق تجمع بقوم غارمة، أو يفكرون في بعض قضاياهم من موقع يقع خارج إحدى ثقافته، وبالتالي فلا يمكن أن ينتموا إلى الثقافة العربية لأنهم يفكرون في قضاياهم من خارجها. بل ومن خارج محيطها العلمي".

تكوين العقل العربي: ص ١٢

لكن لا تغتر بهذا الكلام، فإنه من باب ذر الرماد على العيون المقصود منه طمأنة القاري العربي وتخديره للوثوق في كتابات المؤلف فيسهل عليه بلع السم الزعاف.

قال محمود إسماعيل:

"وحسبنا الحكم على الجابري ومقولته في هذا الصدد بأنها ترديد لأراء رخيصة عفى عليها الزمن باعتراف الكثيرين من المفكرين الأوروبيين، بل القول بأن ما قدمه يعد "استشراقا عربيا جديدا" بسبب عدم القدرة على الانتعاف من "التعبية الفكرية" للغرب". [قراءات نقدية في الفكر العربي المعاصر ص ١٢]

ويقول: "بأنه ترديد لمقولات الاستشراق الكلاسيكي خصوصا المتحامل منه على الفكر الإسلامي، وإعادة صياغتها ودعمها بمناهج غربية حديثة ومعاصرة" ص ٢٢، بل هو يدعي أن هذا الحكم على عمل الجابري إطباق من كل الدراسات التي تناولت فكره.

لا يعزب على أي قارئ له أدنى إلمام بدراسات الاستشراق، أن يدرك أن هذه الآراء الواردة في البحث عن المذاهب المعاصرة نبذة عتيقة من بواكير الدراسات الاستشراقية، لكن عتمها من جهة، واستزاعها في أرض غربية من ناحية أخرى، أدى لمحدودية تأثيرها في اختراق بناء الإسلام، لذا تبني الغرب إستراتيجيات مغايرة من وجهين.

الأول: التنصل عن مصطلح "الاستشراق" لصموية التحرر من التوابع الإمبريالية والتنصيرية التي ارتبطت به خاصة بعد دراسة إدوار سعيد و أنور عبد الملك....

ولذلك تجد تمللا عاما عندهم من هذه الكلمة، لأن السم الزعاف الذي يأتي مغلف باسم التحقيق العلمي والمنصف والمتجرد صار لا ينطلي على أحد، قال برنارد ليس في مقالة بعنوان "ساعة الاستشراق" بعد إصدار كتاب إدوار سعيد بأربعة أعوام بحكم ما أرسل إليه المستشرقون في مؤتمرهم العالمي في باريس ١٩٧٢: "بعد أصبحت كلمة (مستشرق) منذ الآن فصاعدا ملوثة هي الأخرى أيضا، وليس هناك أمل في التخلص ولكن الصبر هنا أقل، لأن الكلمة كانت قد فقد قيمتها وحتى أولئك الذين تدل عليهم تخلوا عنها... وكانت مناسبة جيدة لإعادة النظر في طبيعة المؤتمر ووظائفه، ثم سرعان ما تبين لهم أنهم متفقون جميعا على ضرورة التخلي عن هذه التسمية: تسمية الاستشراق" [مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية: هل انتهى الاستشراق حقا (٢٩٧/٤٢)] لذا تم التصويت في نفس المؤتمر على تغيير الاسم وتسمية الجمعية باسم "المؤتمر العالمي للدراسات الإنسانية حول آسيا وشمال أفريقيا".

الثاني: تدجين نخب فكرية مغتربة عن دينها متكرة لذاتها وتراثها من أبناء المسلمين تقوم بذات العمل تحت مسمى "نقد التراث" وتتبنى نفس المخزجات.....

لا أدل على ذلك من قول المستشرق الفرنسي كلود كاهين: "وفي يومنا هذا نلاحظ أن خط التقدم العلمي والنصح الثقافي اللازم لدراسة هذه الحضارات [الشرقية أو الغربية] لا يزال يمر من خلال الاستشراق الغربي أي من خلال الفكر التاريخي والفيلولوجي والاجتماعي الأوروبي... ونلاحظ أن بعض الشرقيين الأكدياء والجريئين قد أخذوا يسلكون هذا الطريق، واستطاعوا في بعض الحالات

الخلاصة

وتحتوى على أهم النتائج والتوصيات:

النتائج:

أولاً: أهمية العناية بكتب السلف في القرون المفضلة؛ فهم أعمق الأمة فهماً وعلماً بمراد الله ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: خطورة البدع في الدين وخاصة ما يتعلق بأصول الدين ومحكماته مثل بدعة خلق القرآن؛ لما لها من تداعيات ومآلات عبر العصور على الأمة وعلى عقيدتها .

ثالثاً: أثر الديانات المحرفة ، والفلسفات الوثنية- وخاصة الفلسفة اليونانية -على الطوائف المنحرفة عن عقيدة المسلمين.

رابعاً: أنه لا فرق جوهري بين الأشاعرة والمعتزلة في القول بخلق القرآن؛ إذ يتفقون على أن الموجود بين أيدي الناس وبين دفتي المصحف مخلوق وليس هو كلام الله الذي هو صفة من صفاته.

خامساً: أن المآلات التي أفرزتها هذه العقيدة الفاسدة -بدعة القول بخلق القرآن- لها آثار خطيرة استمرت عبر الأزمان ، وأن ما حذر منه السلف وبالفوا في التحذير منها تجلى بصورة واضحة في استفادة التيار العلماني من مثل هذه السقطات والزلات التي تروج باسم عقيدة المسلمين وأنها من تراثهم.

التوصيات

أولاً: الاهتمام بنشر اعتقاد السلف بكل الوسائل المتاحة وتقريبه من عامة المسلمين ؛حتى يقطعوا الطريق على المشككين في مصادر الدين وأصوله الكبرى.

ثانياً: توجيه الأقسام العلمية في الجامعات بالناية بكتب السلف تعليماً وبحثاً وتحقيقاً وتعريفاً والرد على كل الشبهات التي تثار حولها لما لها من أثر إيجابي في ترسيخ الاعتقاد الصحيح بطرق علمية عقلية سهلة وواضحة.

ثالثاً: عدم التهوين من شأن البدع والقائلين بها ، والتحذير منها والرد عليها ونشر هذه الردود في الوسائل الإعلامية المتاحة ، فإن لكل قوم وارث ، وتجلى بصورة واضحة في بدعة خلق القرآن، وكيف أنها تروج منذ أكثر من ألف ومائتي سنة .



١. مجموع الفتاوى (١٢/٦-٧).
٢. الإبانة عن أصول الديانة للأشعري ص ٨٩.
٣. خلق أفعال العباد ٢/٤٠ برقم (٦٩).
٤. مجموع الفتاوى (٢/٤٧٧).
٥. الإمام الهروي: هو شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن مت الأنصاري ، ولد بمدينة هراة بأفغانستان ، سنة ٣٩٦ هـ ، كان زاهداً عابداً ، قائماً بالسنة والدين ، كريماً شهماً ، شجاعاً يصعد بالحق والرد على أهل البدع وأوذي بسبب ذلك كثيراً ، رحل وطلب العلم وكتب عن جمع غفير من أهل العلم في جميع الفنون منهم: البيهقي ، والصابوني وغيرهما ، ومن أبرز مؤلفاته : ذم الكلام ، والفاروق في الصفات ، تكفير الجهمية ، كانت وفاته سنة ٤٨١ هـ عن خمس وثمانين عاماً . انظر : سير أعلام النبلاء ١٨/٥٠٣ ، الذيل على طبقات الحنابلة ١/١١٣ لابن رجب ، ت: العثيمين ، مقدمة دراسة محقق كتاب ذم الكلام ، أبو جابر الأنصاري (١/٢٨) .
٦. ذم الكلام وأهله للهروي (٥/١١٨) ت: أبو جابر عبد الله الأنصاري.
٧. الرد على الجهمية للدارمي ص ١٧ ت: بدر البدر ، وممن نص على الأولوية المقدسي في الحجة على تارك المحجة (انظر الحافظ محمد المقدسي ومهجه في العقيدة مع دراسة وتحقيق كتاب الحجة على تارك المحجة ت: د. عبد العزيز السدحان ٢/٦٠٩ .
٨. اخرج هذه القصة : البخاري في خلق أفعال العباد (٢/٩-١٠) برقم (٢) ، والدارمي في الرد على الجهمية ص ١٧ ، وفي الرد على المريسي ص ٢٣٤ ت: منصور السماري ، والخلال في السنة (٥/٨٧) ، والآجري في الشريعة (٢/١١٢٢) برقم (٦٩٤) ، (٥/٢٥٦٠) برقم (٢٠٧٢) ، وابن بطة في الإبانة (القسم الثالث - الرد على الجهمية (٢/١٢٠) برقم (٢٨٦) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/٣١٩) برقم (١٤٣) .
٩. انظر : الحموية ص ٢٤٢ ت: حمد التويجري ، بيان تلبيس الجهمية ٢/٢٢٦ ، ٣/٥٨ ، ٤/ ٦٠٤ ، ٦/ ٣١٥ ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٥/ ٢٠ ، ١٢/ ١١٩ ، ٢٦ ، درء تعارض العقل والنقل ١/ ٣١٢-٣١٣ ، ٥/ ٢٥٩ ، ٤/ ٢٤٤ ، الصواعق المرسلة ٢/ ١٠٧١ ، طريق الهجرتين ١/ ٢٩٥ .
- وقد جاءت القصة في الكامل في التاريخ لابن الأثير حوادث سنة ١٤٢ هـ سيرة هشام بن عبد الملك (٤/ ٢٥٥) حوادث سنة ١٣٢ هـ ذكر قتل مروان بن محمد ، (٤/ ٣٣٢) ، (٥/ ٢٩٤) حوادث سنة ٢٤٠ هـ . وفي البداية والنهاية (١٣/ ١٤٧) وقال : «هو أول من قال يخلق القرآن» أ. هـ .
- وفي سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٣٢) ، وتاريخ الإسلام (وفيات ١٠١-١٢٠) ص ٣٣٧ . وقال : «هو أول من ابتدع بأن الله ما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ولا كلم موسى ، وأن ذلك لا يجوز على الله » أ. هـ .
- وفي مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٦/ ٥٠) حيث قال عن الجعد : «وكان أول من أظهر القول بخلق القرآن من أمة محمد» أ. هـ .
١٠. انظر : مجموع الفتاوى ٥/ ٢٠ ، بيان تلبيس الجهمية ٦/ ٣١٥-٣١٦ ،
١١. بيان بن سمرعان : ويقال أبان ، النهدي التميمي ، ظهر في العراق بعد المائة ، وكان تياناً يتبن التبن في الكوفة

كان زنديقاً ادعى النبوة لنفسه ، وادعى ألوهية علي رضي الله عنه ، وكان يقول بالتجسيم أيضاً، قتله خالد القسري ، وله أتباع من فرق الشيعة تدعى البيانية . أنظر : ميزان الاعتدال ١/٣٥٧، الفرق بين الفرق ص٢١٦ ، الفصل لابن حزم ٥/٤٤، الملل والنحل للشهرستاني ١/١٥١، جهنم بن صفوان ومكانته في الفكر الاسلامي ص٣٩.

١٢. طالوت : لم أجد له ترجمة .

١٣. لبيد بن الأعصم : من أحبار اليهود وهو من بني قريظة ، وهو الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يقول بخلق التوراة . انظر : أنساب الأشراف للبلاذري ١/٢٢٢ ، الكامل لابن الأثير ٥/٢٩٤ .

١٤. انظر : الكامل في التاريخ لابن الأثير (٥/٢٩٤) ، ومختصر ابن عساكر لابن منظور (٦/٥١) ، الواجبات للصفدي (١١/٨٦) ، وانظر : إعجاز القرآن للرافعي ص١٤٣ .

١٥. خلق أفعال العباد ٢/٣٠ برقم (٤٣) ، ونقل الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٧/٦١) أن والده كان يهودياً .

١٦. انظر : مختصر تاريخ ابن عساكر (٦/٥٠) ، الذهبي في تاريخ الإسلام وفيات : (١٠١-١٢٠ ، ت٣٢٨ ، ٣٢٧) ، وأشار إلى سكنه حران الإمام أحمد كما نقل عنه شيخ الإسلام درء التعارض ١/٣١٣ ، وانظر : مقالة التعطيل والجعد بن درهم للدكتور محمد خليفة التيمي ص١٤١ .

١٧. منهاج السنة (٢/٩١) ، وانظر : درء التعارض ٤/١٨٧ ، ١/٢١٦ ، التسعينية (١/٢٥٠) .

١٨. السنة لعبد الله بن أحمد (١/١٧٠) برقم (١٩٨) .

١٩. مقالات الإسلاميين (٢/١٧٦-١٧٧) .

٢٠. أبو الهذيل العلاف هو : محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي المشهور بالعلاف ، من أئمة المعتزلة ولد بالبصرة سنة ١٢٥هـ ، قال عنه الخطيب : «شيخ المعتزلة ، ومصنف الكتب في مذاهبهم ، وكف بصره في آخر عمره = ، وكانت وفاته سنة ٢٢٦هـ ، انظر : لسان الميزان (٧/٥٦١) ، وفيات الأعيان (٤/٢٦٥) ، تاريخ بغداد (٤/٥٨٢) ، السير (١٠/٥٤٢) .

٢١. أرسطو طاليس بن نيقوماخوس الفيثاغوري ، من أهل أسطاغيرا ، وهو المقدم المشهور والمعلم الأول ، فيلسوف يوناني ، ولد سنة ٣٨٤ ق.م ، وتلمذ على أفلاطون ، وعلم الإسكندر الأكبر ، وكان يحاضر ماشياً فسمي هو = وأتباعه بالمشائين ، من كتبه النفس ، والشفاء وغيرها ، أنظر : تاريخ الحكماء للقفطي ص٣٧ ، موسوعة أعلام الفلسفة ١/٧٢ ، موسوعة الفلسفة لبدوي ١/٩٨ .

٢٢. ممن استبعد هذا الأمر وشكك في الرواية مرة لمعناها ومرة لضعف سندها بزعمهم مثل : الكوثري أنظر التنكيل للمعلمي (١/٢٥٤-٢٥٦) ، (١/٢٩١) ومشهور حسن سلمان أنظر : قصص لانتبت ٣/٢٥٦ ، دار الصميعي ، والشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لسير أعلام النبلا عند ترجمة الجعد (٥/٤٣٢) وحاول أن ينفي القصة والسند لليهود وأن المعروف عنهم التشبيه لا النفي ، وبعضهم يطعن في خالد بن عبد الله القسري وكأنه يرى أن الخلاف سياسياً وليس عقدياً مثل الشيخ جمال الدين القاسمي في كتابه تاريخ الجهمية والمعتزلة ص٢٨-٤٢ ، وكذلك الاستاذ على سامي النشار في نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (١/٣٢١) ، وعموماً ما طعن فيه بسبب سند القصة فأمر التاريخ والقصص يكفي اشتهاها واستفاضة خبرها عند الناس ولا يطبق عليها قواعد المحدثين ، إضافة إلى كثرة تعدد طرقها ، وأما خالد القسري

فإن المؤرخين من علماء أهل السنة وعلمائهم أثبتوا عليه كثيراً ولم يقدحوا فيه ، ويكفي أن جمعاً من المحدثين والمؤرخين المحققين اثبتوا هذه القصة وأكدوها ، وكما قال الإمام الدارمي -رحمه الله - في الرد على الجهمية ص ١٧ : «وأما الجعد فأخذه خالد بن عبد الله القسري ، فذبحه بواسط يوم الأضحى ، على رؤوس من شهد العيد معه من المسلمين ولا يعيبه به عائب ، ولا يطعن عليه طاعن بل استحسنوا ذلك من فعله وصوبوه من رأيه » أ.هـ. والأئمة بعد الجهم مع أنهم كانوا في خصومة مع السلطة السياسية في وقتهم إلا أنهم ردوا على الجهم والجعد وحذروا من مقالاتهم كالإمام أحمد وغيرهم كثير فكيف يكون دافعهم سياسي ، وللاستزادة في الرد على هذه الفرية انظر : مقالة التعطيل والجعد بن درهم للدكتور محمد التميمي ص ١٨١-ص ١٩٨ ، وانظر مجموع الفتاوى ١٢/ ٢٥٠ ، التكميل للمعلمي (١/ ٢٥٥-٢٥٦، ٢٩١).

٢٢. فيلون الأسكندري :، ويقال فيلو ، فيلسوف يوناني يهودي ، حاول أن يمزج بين العقائد اليهودية الأساسية بالأفكار الرئيسية للفلسفة اليونانية ، وهو أول فيلسوف يهودي جمع بين اللاهوت وبين الفلسفة ، ويعد متديناً باليهودية أكثر منه فيلسوفاً ، وحاول تفسير التوراة ونصوصها بما يتفق مع الفلسفة اليونانية واتجه الى التفسير الرمزي وكان من أبرز معتقداته القول بوحدة الوجود ، وسلب الصفات عن الله . مات سنة سنة ٢٠ ق.م .

= انظر : موسوعة الفلسفة لعبد الرحمن بدوي ٢/ ٢١٩-٢٢٨ ، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب للاستاذ روني ألفا إيلي ٢/ ٢٠٦ برقم (٨٩٥) ، قصة الحضارة (١١/ ١٠٣) ويل ديورانت .

٢٤. الأفلاطونية الحديثة : أو الجديدة هي عبارة تدل عادة على المجهود الخلاق الأخير الذي بذلته العصور الوثنية القديمة من ٢٥٠م - ٥٥٠م لإنتاج مذهب فلسفي شامل يمكن أن يلبي مطامح الإنسان الروحية جمعياً (عقلية ودينية وأخلاقية) وذلك بتقديم صورة شاملة ومتسقة منطقياً للكون ومكان الإنسان فيه ، وفي هذه المرحلة مزجت كثيراً من الاعتقادات بالقضايا الفلسفية البحتة ويعتبر أشهر مؤسسيها أفلاطون . ويعتبر من أبرز من مهد لها الفيلسوف اليهودي فيلون .

انظر : الموسوعة الفلسفية المختصرة ص ٥٢ ، موسوعة الفلسفة لعبد الرحمن بدوي ١/ ١٩٠-٢٠٩ ، المعجم الفلسفي - مجمع اللغة العربية ص ١٨ .

٢٥. أفلوطين : أو أفلوطينس ، عاش من ٢٠٥م - ٢٧٠م وهو مؤسس ما يعرف بالأفلاطونية الحديثة أو الجديدة ، وأصله من مصر ونشأته إغريقية ودرس الفلسفة في الإسكندرية في حدود عام ٢٢٢م ، ولزم الفيلسوف أمونيوس أحد عشر عاماً وأخذ عنه كثيراً وتأثر به ، وقد أمضى بقية حياته في روما ، وظل يعلم الفلسفة وكتب عنه تلاميذه بعض الرسائل ومن أشهرها التاسوعات ، ومن أبرز ما تحويه فلسفته أنه أعاد فكرة الثالوث المسيحي ، وهو مؤلف من الواحد والعقل والنفس ، وكان يقول بنظرية الفيض المشهورة وأن أول شيء فاض عن الواحد هو العقل وهو صورة الله ولكن ليس الله نفسه ، ومات بمرض الجذام بعد أن بلغ السادسة والستين من العمر .

انظر : الموسوعة الفلسفية المختصر ص ٥٩ ، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ١/ ١٠٦-١٠٨ ، موسوعة الفلسفة لبديوي ١/ ١٩٦ ، قصة الحضارة ١١/ ٢٩٩

٢٦. أشار إلى هذا عبد الرحمن بدوي في موسوعته ١/ ١٩١ .

٢٧. قصة الحضارة ١٠٣/١١، وانظر: ٢١٠/١١.
٢٨. يقول الدكتور المسيري: «لم يظهر التفكير الفلسفي المنهجي بين اليهود إلا في القرن الأول قبل الميلاد في فلسفة فيلون السكندري الذي حاول المزاجية بين الفلسفة اليونانية (الأفلاطونية والرواقية) والعقيدة اليهودية» أ.هـ. موسوعة اليهود واليهودية (الموجزة) ٣٤١/١.
٢٩. أشار إليها بدوي في موسوعته ٢٢٢/٢، وديورانت في قصة الحضارة ٢٧٤/١١.
٣٠. موسوعة الفلسفة ٢٢٢/٢، وانظر: الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية ص ٨-٩.
٣١. موسوعة الفلسفة ٢٢٥/٢.
٣٢. فلسفة الكلام لوفلسون (p: ٢٧٦) the philosophy of the kalam. by wolfson.
- (نقلًا عن مقالات الجهم بن صفوان وأثرها في الفرق الإسلامية لياسر قاضي) (٤٩١/١).
٣٣. انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (٢٠٦-٢٦٩)، الفرق بين الفرق ص ١٤٥، ١٢٢.
٣٤. مجموع الفتاوى ٤٢٥/٨.
٣٥. فلسفة الكلام لوفلسون (p: ٢٦٢) the philosophy of the kalam. by wolfson.
٣٦. انظر: تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث ص ٦٥-٦٦ تأليف: زلمان شازار.
٣٧. يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي: «وأما مذهبنا في ذلك، فهو أن القرآن كلام الله تعالى ووحيه وهو مخلوق محدث» أ.هـ. شرح الأصول الخمسة ص ٥٢٨، ونقل الآمدي أن القول بخلق القرآن عند المعتزلة محل إجماع، انظر: أباكار الأفكار ٣٥٤/١.
٣٨. لم يعرف عن الشيعة في بداية أمرهم النفي في الصفات بل كانوا مشبهة ثم تأثروا بالمعتزلة خاصة الإمامية والزيدية، وأما الخوارج فكانوا في بداية أمرهم مثبتة ولم يخوضوا في مثل هذه الأمور وبعد استقرار مؤلفات المعتزلة تبني عبد الله بن أبيض أحد زعمائهم المتأخرين رأي المعتزلة وأصبح هو رأي الفرقة لاحقاً. يقول شيخ الإسلام (بيان تلبيس الجهمية ٢١٢/٤): «وأما الخوارج الذين كانوا في زمن الصحابة وكبار التابعين فأولئك لم يكن قد ظهر في زمنهم التجهم أصلاً ولا عرف في الأمة إذ ذاك من كان ينكر الصفات، أو ينكر أن يكون على العرش، أو يقول: إن القرآن مخلوق، أو ينكر رؤية الله تعالى، ونحو ذلك مما ابتدعه الجهمية من هذه الأمة» أ.هـ. وابن القيم عقد مقارنة بين المعطلة المؤولة وبين الخوارج في نونيته (٥٦١/٢) البيت رقم (٢٢٢٢) حيث قال:
- «ولهم عليكم ميزة الإثبات والتصديق مع خوف من الرحمن» أ.هـ.
- = انظر: بحثاً نفيساً في تأثير المعتزلة على الخوارج والشيعة للباحث: عبد اللطيف الحفظي (تأثيرهم على الخوارج ص ٢٢٤-٢٢٦)، تأثيرهم على الشيعة ص ٤٠١ (الزيدية)، ص ٤٦٠ (الإمامية). يقول شيخ الإسلام (منهاج السنة ٦-٥/٢): «فإن جميع ما يذكره الإمامية المتأخرون في مسائل التوحيد والعدل كابن النعمان والموسوي الملقب بالمرتضى وأبي جعفر الطوسي وغيرهم مأخوذ من كتب المعتزلة بل كثير منه منقول نقل المسطرة، وبعضه قد تصرفوا فيه...» أ.هـ.
٣٩. مجموع الفتاوى ٥٥٧/١٢، جامع الرسائل والمسائل ٣٥٣/٢ (رسالة بعنوان كلام مذهب السلف القويم في تحقيق مسألة كلام الله الكريم).

٤٠. أي القائلون صراحة بخلق القرآن وهم الجهمية والمعتزلة .
٤١. مجموع الفتاوى ١٢/١٢٠-١٢١.
٤٢. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص ١١٦.
٤٣. في نهاية إقدام العقول نقله شيخ الإسلام في التسعينية ٥٩٧/٢
٤٤. التسعينية ٦١٨/٢.
٤٥. بحر الكلام لأبي المعين النسفي ص ١٤٥. وراجع أيضاً المواقف للإيجي : ص ٢٩٣ ، و التوحيد للماتريدي ص ٥٩
٤٦. شرح جوهرة التوحيد للباجوري ص ١١٤-١١٥.
٤٧. شرح المقاصد للتفتازاني ١٤٦/٤.
٤٨. وهذا القول تبناه مشايخهم المعاصرين أمثال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي حيث يقول في كتابه: كبرى اليقينيات الكونية ص ١٢٦: «وأما الكلام الذي هو اللفظ فاتفقوا (يعني الأشاعرة والمعتزلة) على أنه مخلوق» هـ، وأشار إلى هذا الاتفاق الألوسي في روح المعاني ١٦٧/١٥ عند تفسير قوله تعالى (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن) (الإسراء: ٨٨).
٤٩. نقل شيخ الإسلام عن الآمدي حيرته وورود الإشكالات التي لا يستطيع حلها حول القول بالكلام النفسي انظر: درء التعارض ١١٩/٤.
٥٠. انظر كلاماً نفيساً لشيخ الإسلام في التسعينية ٨٧٣/٢-٨٧٥، ٩٦١/٨٧٥، ٩٦٦.
٥١. المصدر السابق ٩٨١/٣.
٥٢. المناظرة في القرآن لابن قدامة ص ٨٣.
٥٣. انظر :للاستزادة في سرد كلام السلف وإجماعاتهم ونقولهم : اللالكائي (٢٥٣-٢٨٤)، الشريعة للأجري (٤٨٩/١)، الإبانة لابن بطة -القسم الثالث -الرد على الجهمية (٥/٢)، العقيدة السلفية في كلام رب البرية ص ١٢٨-١٤٧. الآثار المروية عن السلف في العقيدة -في كتاب تاريخ مدينة دمشق -جمعاً وتحقيقاً ودراسة - (٧٧٠-٧٢٨/٢)، تأليف توفيق كمال طاش، الآثار الواردة عن أئمة السنة في أبواب الاعتقاد من كتاب سير أعلام النبلاء -جمعاً وتخريجاً ودرسة - (٣١١-٤٣٧)، إعداد: د. جمال أحمد بشير بادي .
٥٤. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣٤٤/١) برقم (٤٩٣).
٥٥. رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١٥٦/١) برقم (١٤٥)، واللا لكائي (٢٤٩/٢) برقم (٤١٠) والأجري في الشريعة (٥٠١/١) برقم (١٦٥)
٥٦. الإبانة لابن بطة -القسم الثالث (٦٧/٢) برقم (٢٨٦)، السنة للخلال ١٧/٦ برقم (١٨٣٤)،
٥٧. رواه الإمام البخاري في خلق أفعال العباد (١١/٢) برقم (٥) ت: د. فهد الفهد ، وعبد الله في السنة (١١٣/١) برقم (٢٩) ت: د. محمد سعيد الفحطاني ط. دار ابن القيم ط. ١٤٠٦ هـ، الاجري في الشريعة (٤٩٧/١)، برقم (١٦١)، اللالكائي - (٢٨٣/١) برقم (٤٣٢).
٥٨. اللالكائي ١ / ٢٤٣ برقم (٢٥٦)، الحجة في بيان المحجة (٢٢٧/١-٢٢٨).
٥٩. وللأشمري في الإبانة شرح قريب من كلام الشافعي ص ٦٥، وانظر: الرد على الزنادقة والجهمية للإمام

أحمد ص ٣١٧، والتوحيد لابن خزيمة ٢٩٢/١، الإبانة لابن بطة ١٩٦/٢، وانظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار لابي الخير العمراني ٥٤٦/٢.

٦٠. انظر: اللالكائي ٢٥٦-٢٥٧، وانظر استدلالاً نفيساً للإمام أبي عبيد القاسم ابن سلام رواه عن عبد الله في السنة (١٦٣/١) برقم (١٧٧)، وانظر هذا الاستنباط معزواً إلى وكيع والإمام أحمد وعبد العزيز الكنانى (الحجة في بيان المحجة ٢٢٩/١)، والإبانة لابن بطة - القسم الثالث - الرد على الجهمية ٢١٨/١.

٦١. الإبانة للأشعري ص ٦٨-٦٩، وانظر: الانتصار للعمراني ٥٤٧/٢.

٦٢. الإبانة - القسم الثالث - الرد على الجهمية ٢١٤/١.

٦٣. رسالة السجزي إلى أهل زبيد ص ١٠٦.

٦٤. اللالكائي (٢٩١/١) برقم (٤٥١)، الإبانة لابن بطة - القسم الثالث - الرد على الجهمية (٢٥/٢) برقم (٢٢٥)، السنة للخلال (١٩/٦) برقم (١٨٤٨).

٦٥. الفتاوى ٤٣٤/١٢، وانظر: نكت القرآن للحافظ القصاب ٢٨٢-٢٨٣ عند قوله تعالى في سورة طه (فما آتاه نودي ياموسى إني أنا ربك فاخلع نعليك) (١١-١٢). الآية.

٦٦. اللالكائي (٢٣٠/١).

٦٧. أخرجه عبد الله في السنة (١١٠/١) برقم (٢٠)، وابن بطة في الإبانة - القسم الثالث - الرد على الجهمية (٢٧/٢) برقم (٢٢٩)، واللاكائي (٢٨٢/١) برقم (٤٢٨). وصحح إسناده الألباني في مختصر العلو ص ١٧٤.

٦٨. خلق أفعال العباد للبخاري ١٤/٢ برقم (١٢).

٦٩. أخرجه عبد الله في السنة (١٦٣/١) برقم (١٧٢).

٧٠. خلق أفعال العباد (٢٢٢/٢) برقم (٤٥٣)، وانظر: استدلال: ابن خزيمة في التوحيد ٤٠١/١، وابن بطة في الإبانة - القسم الثالث - الرد على الجهمية (٢٦٢/١)، وابن عبد البر في التمهيد ٢٤١/٢١، ١٠٩/٢٤.

٧١. الفتاوى ٤٣٥/١٢.

٧٢. انظر: اللالكائي (٢٥٨-٢٥٩)، التوحيد لابن خزيمة ٢٩٦-٢٩٩، والحجة في بيان المحجة (٢٢٩/١)، الإبانة للأشعري ص ٦٧.

٧٣. الرد على الجهمية ص ١٣٤.

٧٤. الحجة في بيان المحجة (٢٢١/١)، وانظر نفس المصدر (٢٢٩-٢٣٠).

٧٥. الإبانة - القسم الثالث - الرد على الجهمية ٢١٢/٢.

٧٦. الإبانة للأشعري ص ٧١.

٧٧. الرد على الجهمية ص ١٢٣.

٧٨. نكت القرآن ٣٠٩/٢، وانظر نفس المصدر ٥٢١/٣، وانظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار لأبي الخير العمراني ٥٤٠-٥٤١.

٧٩. رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١٢٧/١) برقم (٦٧). وابن بطة - الإبانة - القسم الثالث - الرد على

- الجهمية (٦٣/٢) برقم (٢٧٢).
٨٠. خلق أفعال العباد (٥٩/٢) برقم (١١١). وانظر: الرد على الجهمية ص ١٧٤.
٨١. الرد على الجهمية ص ١٨٥-١٨٦، وانظر: نفس المصدر ص ١٥٩، والإبانة للأشعري ص ٧٠، والإبانة لابن بطة ١٣٤/٢ القسم الثالث - الرد على الجهمية.
٨٢. ذم الكلام (١٢٦/٥)، وانظر نفس المعنى عند ابن القيم في مختصر الصواعق للبلعي ١٣٠١/٤.
٨٣. نقل هذا الكلام شيخ الإسلام ابن تيمية في التسعينية (٢٤٠/١) عن كتاب للبيكندي في السنة والجماعة.
٨٤. رسالة السجزي لأهل زبيد ص ١١٠. وانظر: حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدع لابن قدامة ص ٢٢.
٨٥. الفرق بين الفرق للبغداد ص ١٤٥ عند ذكر المعمرية من فرق المعتزلة.
٨٦. الفتاوى: (٤٧٧/٥).
٨٧. مجموع الفتاوى ٤٢٥/٨. وانظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبدالرحمن المحمود ١٢٩٨/٣-١٢٩٩.
٨٨. مختصر الصواعق ١٢٨٣/٤. وقد نقل كلاماً لابن عقيل الحنبلي في نفس هذا المآل فليرجع إليه ١٣٨٤/٤-١٣٨٦.
٨٩. الفصل (٨١/٥).
٩٠. صيد الخاطر لابن الجوزي ص ٢١٦، ت: عامر ياسين، وانظر: أقاويل الثقات لمربي الحنبلي ص ٢٢٣.
٩١. أخرج القصة: البخاري في خلق أفعال العباد (٤١/٢) برقم (٧١)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١٦٧/١) برقم (١٩٠)، وابن بطة في الإبانة - القسم الثالث - الرد على الجهمية (٩٢/٢) برقم (٢٢٢)، وصحح إسنادهما الألباني في مختصر العلوص ١٦٣.
٩٢. انظر: فضلاً نفيساً بعنوان: عدم تعظيم المتكلمين للقرآن، في كتاب القرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفهم - دراسة عقدية - ١٠٨٤/٢، للباحث: محمد هشام طاهري، وتقديم: د. محمد الخميس.
٩٣. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤٢٨/٥، وانظر حول إعجاز القرآن: البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢١١/١، الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٨٧٩/٥، إعجاز القرآن للرافعي ص ١٣٩، الرد على الجهمية ص ١٦٠.
٩٤. الانتصار ٥٥٦/٢.
٩٥. صاحب هذه البدعة الفاسدة: إسحاق بن إبراهيم النظام من أئمة المعتزلة.
٩٦. يقول النظام: «الآية والأعجوبة في القرآن مافيه من الأخبار عن الغيوب، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد، لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم» أهـ، مقالات الإسلاميين ٢٩٦/١، وانظر ممن = أشار إلى الصرفة: الفرق بين الفرق ص ١٣٧، الملل والنحل للشهرستاني ص ٥٠، الأمدي في أبعاد الأفكار ٤٣/٥، إعجاز القرآن بين الإمام السيوطي والعلماء - دراسة نقدية مقارنة - محمد حسن عقيل موسى ص ٩٣.
٩٨. انظر: الجواب الصحيح ٤٢٩/٥، وقال الأديب الرافعي في إعجاز القرآن ص ١٤٦: «وعلى الجملة فإن

القول بالصرفة لا يختلف عن قول العرب فيه : «إن هو إلا سحر يؤثر» ، وهذا زعم رده الله على أهله أكذبهم فيه وجعل القول به ضرباً من العمى (أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون) ، فاعتبر ذلك بعضه ببعضه فهو كالشيء الواحد» أهـ .

٩٩. وهونصر أبو زيد وسيأتي الكلام عليه في الفصل القادم إن شاء الله .

١٠٠. القائل من أئمة المعتزلة عيسى بن صبيح المردار صاحب الطائفة المردارية . انظر : الملل والنحل ص ٦٠ ، الفرق بين الفرق ص ١٥٥ .

١٠١. إعجاز القرآن ص ١٤٦ .

١٠٢. غاية المرام في علم الكلام ص ١٠٧ ، وانظر نفس التقرير من الأمدي في أبعاد الأفكار ١/٣٦٨ ، وصرح الرازي بأن الإعجاز ليس بألفاظ القرآن في نهاية الإيجاز ص ٩٦-٩٩ ، وممن قرر هذا الغزالي في الاقتصاد ورد عليه الإمام العمراني في الانتصار ٢/٥٩٧ .

١٠٣. انظر : إعجاز القرآن بين الإمام السيوطي والعلماء ص ١٠٢ ، وذكر منهم : الأشعري ، والاسفراييني ، والماوردي ، والبيهقي ، والراغب الأصفهاني .

١٠٤. الشفا ١/٢٧٢ .

١٠٥. نسيم الرياض شرح الشفا للقاضي عياض ٢/٥٠٤ .

١٠٦. إعجاز القرآن للباقلاني ص ٧٢ .

١٠٧. الجواب الصحيح ٥/٤٢٤-٤٣٥ ، ولهذا كان رد الأشاعرة على المعتزلة حين الكلام على الإعجاز رداً ضعيفاً ومتناقضاً لأنهم يعترفون بموافقتهم للمعتزلة بأن الذي بين أيدينا مخلوق ، انظر كلام الزمخشري في الكشاف ، وكيف تعقبه ابن المنير الأشعري . انظر : الكشاف (٢/٤٦٥) وتعقب ابن المنير عليه عند قوله تعالى (قل لئن اجتمعت الإنس والجن .. الآية) (الإسراء: ٨٨) ، وانظر : روح المعاني للألوسي ١٥/١٦٧ ، المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف ، إعداد صالح الغامدي ٢/٦٤٠ .

١٠٨. انظر مبحثاً نفيساً حول طعونات المستشرقين في القرآن : بدعوى أنه من عند محمد صلى الله عليه وسلم أو القول بأنه نقله من غيره من الديانات الأخرى وغيرها من المطاعن في كتاب : دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري للدكتور عبدالمحسن المطيري ص ١٨٠-٢٥٦ ، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره د. عمر رضوان ٢/٦٣٨ .

١٠٩. تجد هؤلاء يمجدون الفلاسفة والمعتزلة وغلاة الصوفية كالقائلين بالحلول والاتحاد كابن عربي وابن سبعين لأنهم تمردوا على الشريعة ولبسوا منهم الألقاب العظيمة كأصحاب الفكر التحرري أو المتنورون القدامى ونحوها من الألقاب .

١١٠. نقد الخطاب الديني ص ٦٤ . وانظر : تقرير نفس المعنى : د. حسن حنفي في التراث والتجديد ص ٦٤ ، وكذلك أركون في الفكر الإسلامي قراءة علمية ص ١١ .

١١١. د. الجابري هو من نحى هذا المنحى فنجد لم يصرح بتبني القول بخلق القرآن ولكنه قرر أمور كلها تؤدي الى هذه النتيجة :- فقد قرر أمراً مخالفاً لإجماع الأمة بأن النبي صلى الله عليه وسلم ليس بـ (أمي) ، لقد قرر الجابري أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ ويكتب ، وهذا مع مخالفته لما في القرآن والسنة وما عليه العلماء أيضاً ؛ هو متابعة منه لما قرره المستشرقون حول هذه الفرية حتى يطعنوا

الاعتزال» أه. ، وأدونيس والحداثيون عموماً يشيدون ليس بالمعتزلة فقط بل حتى بالزنادقة والمرتدين كابن الراوندي وابن عربي والحلاج وكل منحرف عن الاسلام بغية ان يجدوا شيئاً في تراث هؤلاء يخدم مشروعاتهم ، وممن أشار إلى هذا سيد ولد أباه في جريدة الشرق الأوسط عدد (٩٠١٣) بتاريخ ٤ جمادى الثانية ١٤٢٤هـ في مقال بعنوان (تماهي الروح «النضالية» المنحازة بروح «الباحث» الموضوعي أكبر مآزق المشاريع البحثية الحديثة لقراءة التاريخ) ومما جاء فيه متحدثاً عن مشاريع العلمانيين لترسيخ ثقافتهم في المجتمعات المسلمة ما نصه «إن هذه المشاريع على اختلاف مشاريعها اتسمت بالبحث عن موطن قدم في الأرضية التراثية سواء من خلال إعادة الاعتبار لبعض نزعات واتجاهات الفكر العربي الوسيط (كالنزعة العقلانية المعتزلة أو الرشدية، وحركة الزنج....» أه.

١١٧. انظر : مفهوم النص لأبي زيد ص ٤٢-٤٥، حصاد العقل للشماوي ص ٨٩، والانحراف العقدي في أدب الحدة وفكرها ص ٩٦١-٩٦٢، والرد عليهم وبيان أصل الكلام للمستشرقين : انظر : الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن ص ١٧٥-١٨٦.

١١٨. بتصرف : الفكر العربي قراءة علمية ص ٢٤٦.

١١٩. الفكر العربي قراءة علمية ص ٢٥٠.

١٢٠. يقصد به لمز المتمسكين بنصوص الكتاب والسنة وأنهم لا يعتنون بالاستدلال العقلي وهذه فرية كبرى تكذبها كتب السلف في الصدر الأول فضلاً عن أتى بعدهم من علماء أهل السنة والجماعة .

١٢١. التراث والحداثه للجابري ص ٢٥٩.

١٢٢. المصدر السابق ص ٢٦٠.

١٢٣. مفهوم النص دراسة في علوم القرآن ص ٢٤.

١٢٤. المصدر السابق.

١٢٥. نقد الخطاب الديني ص ٢٠٦، وانظر نفس المعنى : مفهوم النص ص ٢٠٠، ١٠٩.

١٢٦. نقد الخطاب الديني ص ٩٩.

١٢٧. مفهوم النص ص ٢٠٠.

١٢٨. مفهوم النص دراسة في علوم القرآن ص ١٤٦.

١٢٩. المصدر السابق ص ١٤٧.

١٣٠. انظر : الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن ص ٢٢٠.

١٣١. قرر ذلك الدكتور محمد شحرور في كتابه الكتاب والقرآن ، أنظر : كلامه والرد عليه في : التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم لمنى الشافعي ص ٢٤٧، وانظر تفصيلاً لموقف العلمانيين من

الإعجاز في : الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن ص ٢١٩-٢٢٧.

١٣٢. الإمام الشافعي وتأسيس الإيدلوجية الوسطية لأبي زيد ص ١٩٠.

١٣٣. النص السلطة الحقيقة لابي زيد ص ١٤٤.

١٣٤. نقد الخطاب الديني ص ٢٧.

١٣٥. التراث والتجديد ، د.حسن حنفي ص ٤٥.

١٣٦. المصدر السابق ص ١١٠.

١٢٧. مدخل إلى القرآن الكريم ، د. الجابري ص ٢٣٢.
١٢٨. النص القرآني ص ٤١٢ (نقلاً عن الاتجاه العلماني المعاصر ص ٤٣٦).
١٢٩. الكتاب والقرآن - قراءة معاصرة - ، د. شحرور ص ١٦٠.
١٤٠. هناك رسالة علمية قيمة حول هذا الموضوع بعنوان (العلمانيون والقرآن - تاريخية النص-) للباحث د. أحمد بن إدريس الطعان وهي جيدة في بابها وخاصة ما يتعلق بشبهات العلمانيين بالقول بتاريخية النص . وقد نقل عدد من تعريفات المفكرين المعاصرين للتاريخية وأخصر تعريف ما ذكره أركون حيث قال: «التحول والتغير أي تحول القيم وتغييرها بتغير العصور والأزمان» العلمانيون والقرآن ص ٢٩٧. وعقد الباحث فصلاً عن تاريخية القرآن عند هؤلاء المفكرين ص ٣٢٢، وانظر كذلك: الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن ص ٢٢٥ فقد عقد فصلاً عن تاريخية النص القرآني التي يقول بها العلمانيون، ويرجع بعض الباحثين فكرة تاريخية النص في الفكر الغربي إلى خمسة من فلاسفة الغرب وهم: ١- سبينوزا اليهودي ٢- ريشاد سيمون ٣- شتراوس ٤- رينان جوزيف أرنست ٥- بولتمان رودولف، أنظر: الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها - دراسة نقدية شرعية - ص ١٠٦٤، د. سعيد الغامدي.
١٤١. الفكر الإسلامي قراءة علمية ، أركون ص ٢١٢.
١٤٢. النص ، السلطة ، الحقيقة ص ٣٣
١٤٣. انظر العلمانيون والقرآن ص ٤٤٢، و انظر: الاتجاه العلماني المعاصر ص ٣٤٧-٣٤٨.
١٤٤. النص القرآني ص ٢٩٨-٢٩٩. وانظر: تقرير يحيى محمد في جدلية الخطاب والواقع ص ٢٢ (الاتجاه العلماني المعاصر ص ٣٤٨).
١٤٥. القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني لأركون: ص ٤١، وهو أمريكياد يجمع عليه كل العلمانيين والحداثيين في العالم العربي ، انظر: مقالاً لأدونيس في جريدة المحرر اللندنية ، العدد: ٢٧٨، كانون الثاني، ٢٠٠٣. وما قرره: عزيز العظمة في ندوة بدار الساقى عقدت بعنوان الاسلام والحداثة ص ٢٥٩-٢٦٣ وقرره حسن حنفي ص ٢٦٧ (انظر: الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها ص ١٠٨٧، ١١٠٥).
١٤٦. انظر: الاتجاه العلماني المعاصر ص ٢٤١-٢٤٢.
١٤٧. الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها ص ١٠٩٨.

- أهداف النشرة :

١. العمل على تفعيل المقدرات البحثية ، وتوظيفها في مواجهة التيارات الفكرية الوافدة.
٢. استنهاض الهمم ، وحشد الطاقات لخلق ترس حصين دون مسلمات الأمة وقيمها وأخلاقيها .
٣. جعل التصدي للتيارات الفكرية الاستلابية هم عام لثقفي الأمة.
٤. رعاية الإنتاج الإبداعي وتحفيز المبدعين .

- مجالات النشر : (المحاور الرئيسية للبحوث)

دراسة اتجاهات التنوير الغربي في المجتمعات المسلمة (الليبرالية ، العلمانية) والمذاهب الفكرية التي أفرزتها (العصرانية ، العقلانية) في كافة المجالات (التعليمية ، السياسية ، الاجتماعية ، الاقتصادية ، الأدبية) وذلك من خلال :دراسة البعد التاريخي ، نقد الأصول الفكرية ، الوسائل المتبعة في نشرة الفكر، والأثار السالبة التي أفرزتها تلك المذاهب في المجتمعات المسلمة

- ضوابط الأعمال المقدمة للنشر :

- يراعى في الأعمال التي ترسل إلى المركز الأمور التالية :
- أن تكون متسمة بالموضوعية في تناول القضايا ضمن المحاور المذكورة .
 - أن تكون فيها إضافة جادة في ميدانها.
 - أن تكون بالعربية الفصحى ، والبعد ما أمكن عن المصطلحات الغربية المستحدثة ، إذا وجد ما يقابلها من اصطلاح في العربية.
 - ألا يكون العمل المقدم قد تم نشره مفردا من قبل ويستثنى النشر في المجلات المحكمة.
 - أن يكون البحث مطبوع على الكمبيوتر بمقاس خط ١٨ عادي ، ويتراوح عدد الصفحات ما بين ٥٠-٦٠ صفحة

تدفع قيمة الاشتراك (١٢عدد) بإيداع في مصرف الراجحي
حساب رقم: ٣٥٥٦٠٨٠١٠٤٩٠٩٠٣ باسم مركز الفكر المعاصر
للأفراد ٢٠٠ ريال وللمؤسسات ٣٥٠ريال
(مع إرسال صورة إيصال الإيداع وبيانات الاشتراك على البريد الإلكتروني)